مواعظ من نهج البلاغة

إعداد

قسم الشؤون الدينية ـ شعبة التبليغ

مواعظ من نهج البلاغة

إعداد

قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ

اسم الكتاب: مواعظ من نهج البلاغة

إعداد: قسم الشؤون الدينية – شعبة التبليغ

الناشر: العتبة العلوية المقدسة

المراجعة: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: ١٤٣٩ هـ – ٢٠١٨م

قياس: ١٤,٨×٢١

عدد الصفحات: ١٤٤

عدد النسخ: ٥٠٠٠

الموقع الإلكتروني: www.imamali.net

البريد الإلكتروني: tableegh@imamali.net

موبايل: ٠٧٧٠٠٥٥٤١٨٦

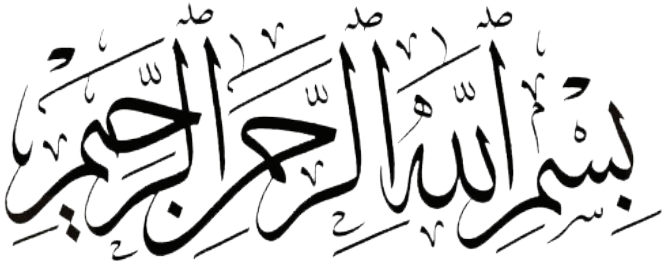
بسم الله الرحمن الرحيم

مواعظ
من نهج البلاغة

الأُولَى
مَعْرِفَةُ القُرْآنِ الكَرِيمِ

مَعْرِفَةُ القُرْآنِ الكَرِيمِ

عَنْ أَمير المؤمنين عليه السلام: «**وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَلَا عَلَمٍ قَائِمٍ، كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيِّناً حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ...**». نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ١.

فَضْلُ القُرْآنِ وَعَظَمَتُهُ:

لقد أرسل الله تعالى الأنبياء عليهم السلام لهداية البشرية إلى سواء السبيل، وأنزل على بعضهم كتباً لتكون منارات يستهدي بها الناس، ولكن للأسف حرّف الناس كتب الله تعالى كما في التوراة والإنجيل، وبذلك انحرفوا عن الصراط المستقيم ووقعوا في ضلال مبين.

إلى أن أرسل الله تعالى نبيّه الكريم محمّداً صلى الله عليه وآله ليرجع الناس إلى طريق الله، ويزيلهم عن الانحراف، وينير لهم الطريق، فأنزل على قلبه الكتاب الكريم، وحفظه تعالى من التحريف: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[١].

فكان الهادي والمبين، والمنير لطريق السالكين إلى الله تعالى، فهو الكتاب السماويّ الوحيد الذي لم تمسّه يد التحريف، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾[٢].

﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾[٣]، ﴿**هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[٤].

---

(١) سورة الحجر: آية٩

(٢) سورة الإسراء: آية٩

(٣) سورة إبراهيم: آية١.

(٤) سورة آل عمران: آية١٣٨.

وحسب القرآن عظمة، وكفاه منزلة وفخراً وفضلاً أنّه كلام الله العظيم، ومعجزة نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله، وأنّ آياته هي المتكفّلة بهداية البشر في جميع شؤونهم وأطوارهم، وفي جميع أجيالهم وأدوارهم، وهي الضمينة لهم بنيل الغاية القصوى والسعادة الكبرى في العاجل والآجل.

هو كلام الله و«**فضل كلام الله على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه**»[1].

هو وصيّة الرسول صلى الله عليه وآله الأولى والثقل الأكبر الذي خلّفه قائلاً: «**إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بهما، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض**»[2].

يصف الإمام عليّ عليه السلام كتاب الله ويبيّن منزلته حين يقول:

«**ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْه الْكِتَابَ نُوراً، لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُه، وسِرَاجاً لَا يَخْبُو تَوَقُّدُه، وبَحْراً لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ، ومِنْهَاجاً لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ، وشُعَاعاً لَا يُظْلِمُ ضَوْءُهُ، وفُرْقَاناً لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ، وتِبْيَاناً لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ، وعِزّاً لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ، وحَقّاً لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُه.**

فَهُوَ مَعْدِنُ الإِيمَانِ وبُحْبُوحَتُهُ، ويَنَابِيعُ الْعِلْمِ وبُحُورُهُ، ورِيَاضُ

(١) بحار الأنوار، العلاّمة المجلسي: ج ٦، ص ٨٩.

(٢) الحديث متواتر رواه خمسة وثلاثون صحابياً (راجع مصادره في خلاصة عبقات الأنوار الجزء الأول والثاني).

الْعَدْلِ وغُدْرَانُهُ، وأَثَافِيُّ الإِسْلَامِ وبُنْيَانُهُ، وأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وغِيطَانُهُ، وبَحْرٌ لَا يَنْزِفُه الْمُسْتَنْزِفُونَ، وعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ، ومَنَاهِلُ لَا يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ، ومَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ، وأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ، وآكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ.

جَعَلَه اللهُ رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ، ورَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، ومَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ، ودَوَاءً لَيْسَ بَعْدَه دَاءٌ، ونُوراً لَيْسَ مَعَه ظُلْمَةٌ، وحَبْلًا وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، ومَعْقِلًا مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ، وعِزّاً لِمَنْ تَوَلَّاه، وسِلْماً لِمَنْ دَخَلَه، وهُدًى لِمَنِ ائْتَمَّ بِه، وعُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَه، وبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِه، وشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِه، وفَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِه، وحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَه، ومَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَه، وآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وجُنَّةً لِمَنِ اسْتَلأَمَ، وعِلْماً لِمَنْ وَعَى، وحَدِيثاً لِمَنْ رَوَى وحُكْماً لِمَنْ قَضَى»[1].

اعْتِرَافُ الْمُفَكِّرِينَ بِعَظَمَةِ الْقُرْآنِ:

وقد اعترف بعظمة القرآن وفضله المنصفون من الملل الأخرى، يقول ول ديورانت: «وقد ظلّ (القرآن) أربعة عشر قرناً من الزمان

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٨، بحبوحته: وسطه، وأثافيّ: جمع أُثفيّة، وهي ما يوضع عليه القِدْر، فالمراد أنه قواعد الإسلام وبنيانه، غيطانه: المستقر من الأرض، الماتحون: الذين ينزحون الماء من البئر أو العين.
لا يغيضها: لا ينضبها، غيض الماء: جفّ ونضب، معقلاً: ملجأ، ذروته: أعاليه، فلَجاً: الفلَج: هو الظَفَر والغلبة، استلأم: لبس اللأمة، أي: الدرع، والجُنّة: الوقاية، فهو وقاء لمن أراد أن يدّرع ليقي نفسه الأخطار.

محفوظاً في ذاكرتهم (المسلمين)، يستثير خيالهم، ويشكِّل أخلاقهم، ويشحذ قرائح مئات الملايين من الرجال، والقرآن يبعث في النفوس أسهل العقائد، وأبعدها عن التقيّد بالمراسم والطقوس، وأكثرها تحرّراً من الوثنية والكهنوتية.

وقد كان له أكبر الفضل في رفع مستوى المسلمين الأخلاقيّ والثقافيّ، وهو الذي أقام فيهم قواعد النظام الاجتماعيّ، والوحدة الاجتماعية، وحضّهم على اتّباع القواعد الصحية، وحرّر عقولهم من كثير من الخرافات والأوهام، ومن الظلم والقسوة، وحسن أحوال الأرقّاء، وبعث في نفوس الأذلّاء الكرامة والعزة، وأوجد بين المسلمين (إذا استثنينا ما كان يقترفه بعض الخلفاء المتأخرين) درجة من الاعتدال والبعد عن الشهوات لم يوجد لها نظير في أيّة بقعة من بقاع العالم يسكنها الرجل الأبيض...»[1].

هذه شهادة - من شهادات كثيرة - للقرآن الكريم من أحد الغربيين، وهو مؤرّخ كبير معروف، أليس في شهادته دلالة على فضل القرآن وعظمته؟

أليس في شهادته وشهادة أمثاله، دلالة على مدى تأثير القرآن وفاعليته وهدايته للبشرية؟

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت: مج ١-٢، ج١، ص٤٨، دار الجيل.

العَمَلُ بِـالقُرْآنِ:

ولأجل ما يحمل القرآن الكريم من فضل وعظمة وأهميّة كان وصيّةَ أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِه، واسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِه، وأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ: ﴿تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، وعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّه أَزْمَاناً، حَتَّى أَكْمَلَ لَه ولَكُمْ، فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِه دِينَه الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِه، وأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِه مَحَابَّه مِنَ الأَعْمَالِ ومَكَارِهَه، ونَوَاهِيَه وأَوَامِرَه وأَلْقَى إِلَيْكُمُ الْمَعْذِرَةَ، واتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ وقَدَّمَ: ﴿إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾، وأَنْذَرَكُمْ: ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ﴾**»[1].

والوصية بالقرآن تعني العمل به، وإلّا ما فائدة أن نقرأ القرآن لقلقة لسان، كما أنّه لا فائدة لوصفة الطبيب دون أن نعمل بها.

ومن هنا يوصي الإمام عليّ عليه السلام بالعمل بالقرآن: «**اللهَ اللهَ فِي الْقُرْآنِ لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِه غَيْرُكُمْ**»[2].

فهل نستفيد من القرآن الكريم إن زيّنّاه وألبسناه ذهباً، وعلّقناه في المنزل؟!

هل نعطي للقرآن حقّه إن نسيناه في زوايا البيوت وعلاه الغبار؟!

هل في تعلّمنا رسوم التجويد، وتحسين أصواتنا في ترتيله، هل

---

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ٨٦.

(٢) المصدر السابق: الخطبة ٤٧.

بهذا نؤدّي حقّه؟!

نعم إنّ ذلك مطلوب وجيّد، ولكن ليس هو الهدف والمبتغى، وما لأجله نزل القرآن الكريم.

هل نستفيد من القرآن المجيد إن تلوناه على الأموات، وكان مقروءاً في مناسبات الموت، أمّا في مناسبات الحياة فقد نسيناه، وأعرضنا عنه؟!

هل إنْ طبعنا عدداً كبيراً من القرآن المجيد، ووزّعناه في مناسبات الموت، ثمّ ألقينا به على الرفوف ليعلوه الغبار، هل نكون قد أدّينا واجبنا؟!

القرآن الكريم جاء للحياة لنحيا به، جاء ليسلك طريقه في الحياة الفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وكل مجالات الحياة.

الإمامُ عَليٌّ عليه السلام يُحَذّرُنَا:

لقد حذّرنا الإمام عليّ عليه السلام من الإعراض عن العمل بالقرآن، وأن لا يبلغ ألسنتنا، وبذلك ندخل النار: «**وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ، فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللهِ هُزُواً**»[1].

ولقد نبّه الإمام عليه السلام إلى أنّه سيبتعد الناس عن القرآن فقال: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُه، ومِنَ الإِسْلَامِ إِلَّا**

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الحكمة ٢٢٨.

اسْمُه»[١].

اللهمّ إنّا نعوذ بك من أن ندخل النار، ونحن نقرأ القرآن.

اللهمّ أعنّا على تلاوة القرآن والعمل به.

اللهمّ أعنّا على تعليم أولادنا القرآن الكريم فـ «**حَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ، أَنْ يُحَسِّنَ اسْمَه، ويُحَسِّنَ أَدَبَه، ويُعَلِّمَه الْقُرْآنَ**»[٢].

اللهمّ أعنّا على أن نتّصف بصفات المتّقين، فقد قال عليه السلام يصف المتّقين: «**أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلًا، يُحَزِّنُونَ بِه أَنْفُسَهُمْ ويَسْتَثِيرُونَ بِه دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً، وتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، وإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ، أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ**»[٣].

اللهمّ أعنّا على أن نتّصف بصفات الزاهدين فقد قال عليه السلام في صفة الزاهدين: «**أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الأَرْضَ بِسَاطاً، وتُرَابَهَا فِرَاشاً، ومَاءَهَا طِيباً، والْقُرْآنَ شِعَاراً**[٤]**، والدُّعَاءَ دِثَاراً**»[٥].

---

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الحكمة ٣٦٩.

(٢) المصدر السابق: الحكمة ٣٩٩.

(٣) المصدر السابق: الخطبة ١٩٣.

(٤) الشعار: ما يلي البدن من الثياب، أي يقرؤون القرآن سّرا للتفكر والاتّعاظ.

(٥) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الحكمة ١٠٤.

مواعظ
من نهج البلاغة

الثَّانيةُ
مَحبّةُ أَهْلِ البَيْتِ
والإِقْتِدَاءُ بِهم عليهم السلام

مَحبّةُ أهلِ البَيْت
والإقْتِدَاءُ بِهِم عليهم السلام

عَنْ أَميرِ المؤمنين عليه السلام: «أَلَا وإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ، ويَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِه، أَلَا وإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاه بِطِمْرَيْه، ومِنْ طُعْمِه بِقُرْصَيْه، أَلَا وإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، ولَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ واجْتِهَادٍ، وعِفَّةٍ وسَدَادٍ». نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ٤٥.

تَمْهِيدٌ:

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه: ﴿**ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُور**﴾[1].

أجمع أهل البيت عليهم السلام وأولياؤهم على أنّ المقصود في (القربى) هنا إنّما هم: عليّ وفاطمة وأبناؤهما، والمعنى: قل لا أسألكم على أداء الرسالة أجراً إلا أن تودّوا قرابتي، وتحفظوني فيهم، وهذا في الحقيقة ليس أجراً له صلى الله عليه وآله، لأنّ قرابته حجج الله البالغة على الخلق، ونعمه السابغة لديهم، فمودّتهم لازمة للخلق، ونفعها عائد عليهم، كما قال في سورة سبأ - وهو أصدق القائلين-: ﴿**قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ**﴾[2]، يعني لا أسألكم على تبليغ الرسالة شيئاً من عرَض الدنيا ليتّهمني المنافقون، وما طلبت منكم أجراً من مودّة قرابتي فإنّما هو لكم.

وقد روى الزمخشريّ وهو من أعلام المفسّرين السنّة، قال: «أتت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وآله بمال جمعوه، وقالوا: يا رسول الله قد هدانا الله بك، وأنت ابن أختنا، وتعروك نوائب، وحقوق، ومالك سعة، فاستعن

---

(١) سورة الشورى: آية٢٣.

(٢) سورة سبأ: آية٤٧.

بهذا على ما ينوبك، فنزلت، وردّه (النبيّ صلى الله عليه وآله) وتلاها عليهم)» إلى أن قال (أي الزمخشري): «والظاهر العموم في أيّ حسنة كانت، إلا أنّها لما ذكرت عقيب ذكر المودّة في القربى دلّ ذلك على أنّها تناولت المودّة تناولاً أوّليّاً، كأنّ سائر الحسنات لها توابع»[١].

وروى ابن حجر الهيثميّ وغيره: عن ابن عبّاس قال: لما نزلت ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: «عليّ وفاطمة وابناهما»[٢].

وفي الحديث المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله بُلْغَةٌ للباحث، وهدايةٌ للطالب، وقد ذكره أعلام المسلمين في كتبهم، إذ يقول صلى الله عليه وآله: «**مَن ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ ماتَ شَهيدًا، ألا ومَن ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ ماتَ مَغفورًا لَهُ، ..... ألا ومَن ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ ماتَ عَلَى السُّنَّةِ وَالجَماعَةِ، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْتُوبًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ...**»[٣].

وبعد هذا كلّه يتبيّن لنا أنّ محبّة أهل البيت عليهم السلام ومودّتهم الخالصة هي سبيل النجاة، وسبب الفلاح، ومنطلق الوصول إلى ساحة رضا الله

---

(١) راجع الكشاف، الزمخشري: ج٣، شرح ص٤٦٨.

(٢) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٧، ص١٠٣.

(٣) تفسير الرازي: ج٢٧، ص١٦٦.

تعالى، وبدونها لا يقبل العمل، إذ إنّ سائر الحسنات لها توابع.

ولنعم ما قيل:

إذا أنا لم أهوَ النبـــيّ وآلـــه فمن غيرهم لي في القيامة يشفع

فلا دين إلا حـــبّ آل محـــمّد ولا شيء في يوم القيامة أنفع

لِمَاذَا أَمَرَنَا اللهُ سُبْحانَهُ وَتَعَالَى بِمَحَبّتِهِم عليهم السلام؟

إنّ الجواب عن هذا السؤال يظهر ممّا روي عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، حيث روى محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن محمّد، عن إسحاق بن إسماعيل النيسابوري، أنّ العَالِمَ كتب إليه (يعني: الحسن بن عليّ العسكريّ): «**أَنَّ اللهَّ تَعَالَى بِمَنِّهِ وَ رَحْمَتِهِ لَمَّا فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْفَرَائِضَ لَمْ يَفْرِضْ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ لِحَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهِ بَلْ رَحْمَةً مِنْهُ إِلَيْكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ لِيَبْتَلِيَ ما فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ وَ لِتَتَسَابَقُوا إِلَى رَحْمَتِهِ وَ لِتَتَفَاضَلَ مَنَازِلُكُمْ فِي جَنَّتِهِ فَفَوَّضَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ وَ إِقَامَ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَ الصَّوْمَ وَ الْوَلَايَةَ وَ جَعَلَ لَكُمْ بَاباً لِتَفْتَحُوا بِهِ أَبْوَابَ الْفَرَائِضِ وَ مِفْتَاحاً إِلَى سَبِيلِهِ وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وَالْأَوْصِيَاءُ مِنْ وُلْدِهِ كُنْتُمْ حَيَارَى كَالْبَهَائِمِ، لَا تَعْرِفُونَ فَرْضاً مِنَ الْفَرَائِضِ وَ هَلْ تُدْخَلُ قَرْيَةٌ إِلَّا مِنْ بَابِهَا؟!**

فَلَمَّا مَنَّ اللهَّ عَلَيْكُمْ بِإِقَامَةِ الْأَوْلِيَاءِ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وآله قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ

الإِسْلاَمَ دِينًا﴾، وَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ لِأَوْلِيَائِهِ حُقُوقاً، فَأَمَرَكُمْ بِأَدَائِهَا إِلَيْهِمْ؛ لِيُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ، وَأَمْوَالِكُمْ، وَمَأْكَلِكُمْ، وَمَشْرَبِكُمْ، وَ يُعَرِّفَكُمْ بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ، وَالنَّمَاءَ، وَالثَّرْوَةَ، وَلِيَعْلَمَ مَنْ يُطِيعُهُ مِنْكُمْ بِالْغَيْبِ، وَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى : ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، فَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ يَبْخَلْ، فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَلَى نَفْسِهِ، إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ، وَأَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَيْهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَاعْمَلُوا مِنْ بَعْدِ مَا شِئْتُمْ، فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ، وَ رَسُولُهُ، وَ الْمُؤْمِنُونَ، ثُمَّ تَرِدُونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ[1]، وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ»[2].

فمحبّة أهل البيت عليهم السلام واتّباعهم هي امتحان للمؤمنين برسالة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وبها يميّز الله سبحانه الخبيث من الطيب، ويرفع الدرجات، ويجعل البركة في الدنيا والآخرة.

ولنعم ما قال الفرزدق:

مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دينٌ وَبُغْضُهُمُ ... كُفْرٌ وَقُرْبُهُمْ مُنْجٍ وَمُعْتَصَمٌ

يَسْتَدْفَعُ السُّوءَ وَالْبَلْوى بِحُبِّهِمْ ... وَيَسْتَرِب بِهِ الْاحسانُ وَالنِّعَمُ

مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُمُ ... فى كُلِّ بُدْءٍ وَمَخْتُومٌ بِهِ الْكَلِمُ

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة التوبة، الآية: ١٠٥).

(٢) علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ج١، ص٢٥٠.

كَيْفَ تَكُونُ المَحبّةُ؟

إنّ المحبّ صنفان فصنف أحبّ بقلبه ولم يظهر ذلك الحبّ بعمله وصنف أحبّ بقلبه وأيّد ذلك بعمله، فأيّ الصنفين يُقصد من محبّة أهل البيت عليهم السلام؟

نجد الجواب عن هذا السؤال أيضاً في كلام إمامنا الباقر عليه السلام حيث قال لجابر بن عبد الله الأنصاريّ: «**يا جابِرُ، أيَكتَفي مَن يَنتَحِلُ التَّشَيُّعَ أن يَقولَ بِحُبِّنا أهلَ البَيتِ؟! فَوَاللهِ ماشيعَتُنا إلّا مَنِ اتَّقَى اللهَ وأطاعَهُ، وما كانوا يُعرَفونَ يا جابِرُ، إلّا بِالتَّواضُعِ وَالتَّخَشُّعِ، وَالأَمانَةِ وكَثرَةِ ذِكرِ اللهِ، وَالصَّومِ وَالصَّلاةِ، وَالبِرِّ بِالوالِدَينِ، وَالتَّعاهُدِ لِلجيرانِ مِنَ الفُقَراءِ، وأهلِ المَسكَنَةِ، وَالغارِمينَ، وَالأَيتامِ، وصِدقِ الحَديثِ وتِلاوَةِ القُرآنِ، وكَفِّ الأَلسُنِ عَنِ النّاسِ إلّا مِن خَيرٍ، وكانوا اُمناءَ عَشائِرِهِم فِي الأَشياءِ.**

قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة، فقال عليه السلام: **يا جابِرُ، لاتَذهَبَنَّ بِكَ المَذاهِبُ، حَسبُ الرَّجُلِ أن يَقولَ: اُحِبُّ عَلِيّاً وأتَوَلّاهُ، ثُمَّ لا يَكونَ مَعَ ذلِكَ فَعّالاً؟! فَلَو قالَ: إنّي اُحِبُّ رَسولَ الله، فَرَسولُ الله صلى الله عليه وآله خَيرٌ مِن عَلِيٍّ عليه السلام ثُمَّ لا يَتَّبِعُ سيرَتَهُ ولا يَعمَلُ بِسُنَّتِهِ ما نَفَعَهُ حُبُّهُ إيّاهُ شَيئاً، فَاتَّقُوا اللهَ وَاعمَلوا لِما عِندَ الله، لَيسَ بَينَ اللهِ وبَينَ أحَدٍ قَرابَةٌ، أَحَبُّ العِبادِ إلَى اللهِ عز و جل (وأكرَمُهُم**

عَلَيهِ) أتقاهُم وأعمَلُهُم بِطاعَتِهِ.

يا جابِرُ، وَاللهِ ما يُتَقَرَّبُ إلَى اللهِ تَبارَكَ وتَعالى إلّا بِالطّاعَةِ، وما مَعَنا بَراءَةٌ مِنَ النّارِ، ولا عَلَى اللهِ لِأَحَدٍ مِن حُجَّةٍ، مَن كانَ للهِ مُطيعاً فَهُوَ لَنا وَلِيٌّ، ومَن كانَ للهِ عاصِياً فَهُوَ لَنا عَدُوٌّ، وما تُنالُ وَلايَتُنا إلّا بِالعَمَلِ وَالوَرَعِ»[1].

إنّ كثيراً من الروايات جاءت دالة على نفس هذا المعنى، وفيه تحذير واضح لكلّ من ادّعى محبّة وودّ وولاية أهل البيت عليهم السلام ولم يعمل بعملهم، فالأمر الإلهيّ بمودّتهم عليهم السلام لا عن عبث، بل المراد منه أنّهم وصلوا إلى هذه الدرجة بطاعتهم لله، فكلّ عمل يَقْدمون عليه لا يمكن أن تشوبه شائبة المعصية، وإلّا فكيف يأمر الله تعالى بمودّة العصاة ومحبّتهم، إنّه سبحانه يأمر بمودّة المطيعين، لأنّ محبّتهم من محبّة عملهم، فإن كنت من أهل هذا الحبّ فعليك بالعمل الموافق له، وإلّا تكون كما قال الفرزدق للإمام الحسين عليه السلام في وصفه لأهل الكوفة: «قُلُوبُهُم مَعَكَ، وَسُيُوفُهُم عَلَيْكَ».

الإقْتِداءُ بِالإمامِ عَليٍّ عليه السلام في جَميعِ الأَبْعادِ:

يُنقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان شغله بعامَّة المسلمين، وفكره بالجائعين، فكان يُعاني شظفَ العَيْش، وشدّة الجوع، خشية أن يكون أحدٌ في البلاد الإسلاميّة من هو أكثر جوعاً منه.

(١) الكافي، الكليني، ج٢، ص٧٥.

فعلينا الاقتداء بأمير المؤمنين عليه السلام في أعماله، وإن كنا لا نصل إلى مقامه، ولا نمتلك القدرة على ذلك، كما بين هذا الأمر عليه السلام بقوله: «**أَلَا وإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، ولَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ واجْتِهَادٍ وعِفَّةٍ وسَدَادٍ**»[1].

ولكن بالإمكان أن نتّبعه في الزهد والتقوى والانتصار للمظلومين ومساعدة الفقراء، بقدر ما نملك من إيمان راسخ ويقين ثابت.

أَهَوَى أَخيكَ مَعَنَا؟

فمن كان يمتلك هذه الخصائص، ولديه هذا الحبّ، فهو ممّن ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في معركة الجمل، إذ سأله بعض أصحابه فقال: وددت أنّ أخي فلاناً كان شاهدنا؛ ليرى ما نصركَ الله به على أعدائكَ.

فقال له عليه السلام: «**أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَدْ شَهِدَنَا، ولَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وأَرْحَامِ النِّسَاءِ سَيَرْعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ، ويَقْوَى بِهِمُ الإِيمَانُ**»[2].

إنّ الجواب من الإمام عليه السلام فيه أمل المحبّ، ومنية المريد، إذ معناه أنّ من كان يحبّنا ويميل بقلبه إلينا فهو معنا، ومشارك فيما صنعنا

---

(١) نهج البلاغة تحقيق: الخطبة ٤٥.

(٢) المصدر السابق: الخطبة١٢.

وشريك في أجرنا حتّى إن لم يكن معنا في مكاننا وزماننا.

ونحن نلاحظ تأكيد الإمام عليه السلام على الهوى، فإنّ من كان قلبه معه فهو مشارك في هذا المشهد، إذ لا فرق بين حاضر وغائب، ولا بين زمان ومكان، وقد أنبأ الإمام عليه السلام أنّه سيأتي رجال يرعف ويجود بهم الزمان بعد حين، تكون قلوبهم معنا، يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، وهؤلاء كأنّما هم حاضرون معنا في معركتنا هذه.

فالهوى هنا هوى من لو أدرك أمير المؤمنين عليه السلام لكان معه في جنده، وحارب بين يديه، وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله في معارك بدر، وأحد، وخيبر، والأَحزاب، بل كان ممّن نصر الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء، ووقاه بنفسه الحتوف، وحدّ السيوف.

نقول في زيارته عليه السلام: «**لَبَّيْكَ دَاعِيَ الله، إِنْ كَانَ لَمْ يُجِبْكَ بَدَنِي، فَقَدْ أَجَابَكَ قَلْبِي، وَشَعْرِي، وَبَشَرِي، وَرَأْيِي، وَهَوَايَ**»[1].

(١) كامل الزيارات، جعفر بن محمّد بن قولويه: ص٣٨٨.

مواعظ
من نهج البلاغة

الثَّالثةُ
اتّباعُ الهَوَى وَطُولُ الأَمَلِ

اتّباعُ الهَوَى وَطُولُ الأَملِ

عَنْ أَميرِ المُؤمنينَ عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ، اثْنَانِ، اتِّبَاعُ الْهَوَى، وطُولُ الأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ».

نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ٤٢.

يتحدّث أمير المؤمنين عليه السلام عن أمرين خطيرين على سلوك الإنسان مع الله تعالى، الأمر الأول: اتّباع الهوى، الأمر الثاني: طول الأمل.

الأَمرُ الأَوّلُ: اتّباعُ الهَوَى:

لا شكّ أنّ للنفس الإنسانية رغبات، وغرائز، ومتطلّبات، وحاجات، وميولاً مختلفة، فالإنسان -مثلاً- يحتاج إلى الارتباط بزوج؛ ليلبّي حاجته الجسدية، بالإضافة إلى حاجته للأولاد، ويحتاج إلى المال؛ ليحفظ به نفسه، وعياله، ويطوّر حياته، ويحب أن يكون محترماً بين الناس عزيزاً، وأن يكون حراً.

هذه بعض الحاجات والغرائز الموجودة في الإنسان، وجميعها ضروريّ لبقاء حياته، ولا شكّ أنّ مبدع الوجود خلقها جميعاً لهدف تكامليّ.

والهدف التكامليّ يتحقّق بأن لا تتجاوز الغرائز والحاجات حدّها، وتخرج عن التوازن والحدّ الوسط إلى الإفراط أو التفريط، وذلك بالتمرّد على الشرع والعقل، وبذلك تكون سائرة مع الهوى المذموم، وتابعة له.

فالحاجة الجسدية إذا خرجت عن التوازن إلى التفريط -بأن لا يتزوّج مثلاً-، أو إلى الإفراط -بأن يلبّي حاجته هذه بأيّ شيء دون رقيب، أو حسيب، من دين، أو عقل، بأن يرتكب المحرّمات مثلاً-

فهذا وذاك اتّباع للهوى.

والحاجة إلى جمع المال إذا أبطلها الإنسان، وزهد فيها زهداً سلبياً، أو انكبّ على الجمع من أيّ طريق، وبأيّ وسيلة -ولو كانت من حرام، كالسرقة، والغصب، والاحتيال والربا- فهذا وذاك من اتّباع الهوى.

وحبّ الاحترام والعزّة بين الناس إذا أعدمه الإنسان وأذلّ نفسه، أو إذا طلب الجاه بطرق منحرفة، فكلا الحالتين من اتّباع الهوى.

وحبّ الحرية إذا أبطله الإنسان وأصبح يألف العبودية للاستعمار مثلاً، أو أرخى لنفسه العنان دون ضابط، فكلاهما من اتّباع الهوى.

وهكذا كلّ حاجات الإنسان إذا خرجت عن الاعتدال، فهي تتبع الهوى، والهوى يصدّ عن الحقّ كما قال الإمام عليه السلام.

وقد حذّرنا الله تعالى من اتّباع الهوى في كثير من آيات القرآن، منها، قال سبحانه: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[1]، ﴿**وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾[2].

والروايات في ذمّه كثيرة، منها عن الإمام عليّ عليه السلام: «**والشَّقِيُّ مَنِ**

(١) سورة الجاثية: آية٢٣.

(٢) سورة ص: آية٢٦.

انْخَدَعَ لِهَوَاه وغُرُورِه...، ومُجَالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلإِيمَانِ، ومَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ...»[١].

«عِبَادَ الله: لَا تَرْكَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ، ولَا تَنْقَادُوا لأَهْوَائِكُمْ، فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ، نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ، يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِه مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ...»[٢].

سَدُّ طُرُقِ الحَرَامِ:

إنّ قطع الطريق على الشهوة المحرّمة ينبغي أن يكون من أوّل الطريق، فلا ينبغي للإنسان أن يتبع هواه، في أن ينظر النظر المحرّم، سواء النظر المباشر، أم عبر الإعلام، أو يختلي بامرأة لا تحلّ له، أو يمازح امرأة لا يجوز له ممازحتها،أو يختلط مع النساء بشكل لا ضابط فيه، فإنّ كلّ ذلك مقدّمات -إن لم يقطعها الإنسان من أوّل الطريق- يخشى عليه أن يقع في الهاوية السحيقة.

فإنّ هوى النفس كالنار لا تشبع، وعليك أن تقطع عليه المزيد بقناعتك بحلال الغرائز، والميول، والاحتياجات.

وقد حذّر الإمام عليّ عليه السلام من أوّل الهوى وبداياته: **«إِيّاكُمْ وَتَمَكُّنَ الهَوى مِنْكُمْ، فَإِنَّ أَوَّلَهُ فِتْنَةٌ، وَآخِرَهُ مِحْنَةٌ»**[٣]، وعنه عليه السلام: **«أَوَّلُ الشَّهوَةِ**

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ٨٦.

(٢) المصدر السابق: الخطبة ١٠٥.

(٣) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي: ص١٠١.

طَرَبٌ، وآخِرُها عَطَـبٌ»[١].

وعنه عليه السلام: «**إيّاكُم وغَلَبَةَ الشَّهَواتِ على قُلوبِكُم؛ فإنَّ بِدايَتَها مَلَكَةٌ، ونِهايَتَها هَلَكَةٌ**»[٢].

وعنه عليه السلام: «**كَم مِن شَهوَةِ ساعَةٍ أورَثَت حُزناً طَويلاً**»[٣].

فعلى الإنسان المؤمن أن يحذر الهوى كما يحذر أعداءه، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**اِحذَروا أهواءكُم كما تَحذَرونَ أعداءكُم، فلَيسَ شَيءٌ أعدى لِلرِّجالِ مِن اتِّباعِ أهوائِهِم، وحَصائِدِ ألسِنَتِهِم**»[٤]، و«**أشجَعُ النّاسِ مَن غَلَبَ هَواهُ**»[٥].

كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه مرّ بقوم يتشايلون حجراً، فقال صلى الله عليه وآله: «**ما هذا؟**»، فقالوا: نختبر أشدّنا وأقوانا، فقال صلى الله عليه وآله: «**ألا أُخبِرُكُم بِأشَدِّكُم وأقواكُم؟**»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله: «**أشَدُّكُم وأقواكُمُ الذي إذا رَضِيَ لَم يُدخِلْهُ رِضاهُ في إثمٍ ولا باطِلٍ، وإذا سَخِطَ لَم يُخرِجهُ سَخَطُهُ مِن قَولِ الحَقِّ، وإذا قَدَرَ لَم يَتَعاطَ ماليسَ بِحَقٍّ**»[٦].

---

(١) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي: ص١١٢.

(٢) المصدر السابق: ص١٠١.

(٣) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي: ج١٣، ص٢٩٩.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٣٣٥.

(٥) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي: ج ١٣، ص ٢٥٠.

(٦) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي: ج١٥، ص٣٦١.

فإذا كنّا نريد الجنّة فعلينا بنهي النفس عن الهوى، يقول سبحانه: **﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾**[1].

الأَمرُ الثَّاني: طُولُ الأَملِ:

ينبغي الإلتفات إلى أنّ أصل (الأمل) ليس فقط غير مذموم، بل له دور مهمّ في إدامة حركة الحياة والتطوّر البشريّ في الأبعاد المادية والمعنوية.

إذا سُلب الأمل من قلب (الأُمّ) فإنّها لا تجد دافعاً لإرضاع طفلها، وتحمُّل أنواع المشقّة والألم بتربيته وتنشئته، كما ورد هذا المعنى في الحديث النبويّ الشريف: «**اَلاْمَلُ رَحْمَةٌ لِاِمَّتِي، وَلَوْلاَ الاْمَلُ مَا رَضِعَتْ وَالِدَةٌ وَلَدَهَا، وَلاَ غَرَسَ غَارِسٌ شَجَرَهَا**»[2].

إنّ من يعلم مثلاً بأنّ هذا اليوم هو آخر يوم من حياته، أو أنّه سيموت بعد أيّام قليلة ويغادر الدنيا، فإنّه سيترك جميع ما في يده من أعمال ونشاطات في دائرة المعيشة، والعلاقات الإجتماعية، وفي الحقيقة فإنّ ذلك يعني انطفاء شعلة الحياة، ولعلّ أحد الأسباب لخفاء الأجل هو أن يبقى الإنسان في حالة الأمل والرجاء، ويعيش الحركة الطبيعية في أمور المعيشة.

---

(١) سورة النازعات: آية ٤٠ – ٤١.

(٢) بحار الأنوار، العلاّمة المجلسي: ج٧٤، ص١٧٣.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنْ قامَتِ السَّاعةُ، وفي يَدِ أحَدِكُم فَسِيلَةٌ، فانِ استَطاعَ أن لا يَقومَ حتّى يَغرِسَها فَلْيَغرِسْها**»(١).

وعن المسيح عليه السلام أنّه: «بَينَما عيسى عليه السلام جالِسٌ وشَيخٌ يَعمَلُ بِمِسحاتِهِ يُثيرُ بِهَا الأَرضَ، فَقالَ عيسى عليه السلام: اللّهُمَّ انزِع مِنهُ الأَمَلَ. فَوَضَعَ الشَّيخُ المِسحاةَ وَاضطَجَعَ، فَلَبِثَ ساعَةً، فَقالَ عيسى عليه السلام: اللّهُمَّ اردُد إلَيهِ الأَمَلَ، فَقامَ فَجَعَلَ يَعمَلُ، فَقالَ لَهُ عيسى عليه السلام: ما لَكَ، بَينَما أنتَ تَعمَلُ ألقَيتَ مِسحاتَكَ، وَاضطَجَعتَ ساعَةً، ثُمَّ إنَّكَ قُمتَ بَعدُ تَعمَلُ؟! فَقالَ الشَّيخُ: بَينا أنَا أعمَلُ إذ قالَت لي نَفسي: إلى مَتى تَعمَلُ وأنتَ شَيخٌ كَبيرٌ؟! فَأَلقَيتُ المِسحاةَ وَاضطَجَعتُ، ثُمَّ قالَت لي نَفسي: وَاللهِ ما بِذلِكَ مِن عَيشٍ ما بَقيتَ، فَقُمتُ إلى مِسحاتي»(٢).

ومن هنا قال الشاعر:

أعَلِّلَ النفسَ بالآمالِ أَرْقُبُهَا مَا أَضيقَ العَيْشَ لوْلا فُسْحَةُ الأَملِ

فالأمل ضروري لإيجاد التحرّك أكثر لدى أفراد المجتمع من موقع النظر إلى المستقبل في حركة الحياة.

ولكنّ نفس هذا الأمل الّذي يُعدّ رمز حركة الإنسان وسعيه في حياته الدنيوية، والماء الّذي يسقي أرض حياته الميّتة، ويُنعش إحساساته وعواطفه بغد أفضل، نفس هذا الأمل إذا تجاوز حدّه المرسوم أصبح

(١) كنز العمال، المتقي الهندي: ج٣، ص٨٩٢.

(٢) انظر: بحار الأنوار، العلاّمة المجلسي: ج١٤، ص٣٢٩.

على شكل سيل مدمّر يأتي على الأخضر واليابس، ويُغرق الإنسان في وحل حبّ الدنيا، والظلم، والجريمة، والإثم.

يُروى عن الإمام الكَاظِم عليه السلام: «**اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَداً، وَاعْمَلْ لآِخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَداً**»(١).

فالشطر الأول من الحديث يشير إلى الأمل الإيجابيّ لإعمار الدنيا، والشطر الثاني من الحديث يشير إلى ضرورة أن لا ينسى الإنسان الموت لإعمار الآخرة.

وقد حذّر الإسلام من طول الأمل المذموم الذي يُنسي الآخرة، قال تعالى واصفاً الكفّار: ﴿**ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾(٣).

وعن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قوله: «**أَرْبَعَةٌ مِنَ الشَّقَاءِ جُمُودُ الْعَيْنِ وَقَسَاوَةُ الْقَلْبِ وَطُولُ الأَمَلِ وَالْحِرْصِ عَلَى الدُّنْيَا**»(٤).

---

(١) تحرير الأحكام، العلامة الحلي: ج٢، ص٢٤٩.

(٢) سورة الحجر: آية٣.

(٣) سورة الحديد: آية١٦.

(٤) تفسير القرطبي: ج٥، ص٣٦١٨، ورد شبه له مع اختلاف يسير في بحار الأنوار، ج٧٠، ص١٦.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**مَنْ اَطَالَ اَمَلَهُ سَاءَ عَمَلُه**»(١).

وعن فاطمة بنت الحسين عليها السلام عن أبيها الإمام الحسين عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**اِنَّ صَلاَحَ اَوَّلِ هَذِهِ الاُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِينِ وَهَلاَكَ آخِرِهَا بِالشُّحِّ (بِالشَّكِّ) وَالاَمَلِ**»(٢).

من العوامل المهمّة لانتصار المسلمين في صدر الإسلام الإيمان واليقين الراسخ بالإضافة إلى عدم اهتمامهم بزخارف الدنيا وبريقها، حيث تسبّب ذلك في أن يرد المسلمون الأوائل إلى ميدان القتال والجهاد بشجاعة فائقة وشوق بالغ فلم يكونوا يرون إلّا الله تعالى والدار الآخرة.

ولكن عندما امتدّت إليهم الآمال الطويلة وملكتهم العلائق الدنيوية وخدعتهم ظواهر الدنيا حلّ الشكّ والترديد محلّ اليقين، والشغف بأُمور الدنيا محلّ الزهد، وبدأوا يتراجعون أمام أعدائهم ويسلكون سبيل التخلّف والانحطاط الحضاريّ والثقافيّ، فلا سبيل لهم اليوم لتجديد عظمتهم الأولى سوى إحياء اليقين والزهد وقصر الأمل وذكر الموت والآخرة وعدم نسيانهما.

ففي وصية رسول الله لأبي ذرّ: «**إيّاكَ والتَّسويفَ بِأَمَلِكَ، فإنَّكَ بِيَومِكَ وَلَستَ بِما بَعدَهُ، فإن يَكُن غَدٌ لَكَ فَكُن في الغَدِ كَما كُنتَ في اليَومِ، وإن لَم يَكُن غَدا لَم تَندَم عَلى ما فَرَّطتَ في اليَومِ.**

---

(١) بحار الأنوار، العلاّمة المجلسي: ج٧٠، ص١٦٣.

(٢) المصدر السابق: ج٧٠، ص١٦٤.

يا أَبا ذَرٍّ : كَم مِن مُستَقبِلٍ يَوما لا يَستكمِلُهُ ، ومُنتَظِرٍ غَدا لا يَبلُغُهُ.

يا أَبا ذَرٍّ: لَو نَظَرتَ إِلى الأَجَلِ وَمَسيرِهِ لأَبغَضتَ الأَملَ وَغُرورَهُ.

يا أَبا ذَرٍّ: كُن كأَنَّكَ في الدُّنيا غَريبٌ، أَو كَعابِرِ سَبيلٍ، وَعُدَّ نَفسَكَ مِن أَصحابِ القُبورِ.

يا أَبا ذَرٍّ : إِذا أَصبَحتَ فَلا تُحَدِّث نَفسَكَ بِالمَساءِ، وَإِذا أَمسَيتَ فَلا تُحَدِّث نَفسَكَ بِالصَّباحِ»[1].

وفي رواية: أنّه اجتمع عبدان من عباد الله، فقال أحدهما للآخر: ما بلغ من قصر أملك؟ فقال: أملي إذا أصبحت أن لا أمسي، وإذا أمسيت أن لا أصبح.

فقال: إنّك لطويل الأمل، أما أنا فلا أؤمل أن يدخل لي نفَس إذا خرج، ولا يخرج لي نفَس إذا دخل.

ويروى أنّ حذيفة قال يوماً لرجل: أراك إذا دخلت الكنيف أبطأت في مشيتك، وإذا خرجت أسرعت، فقال: أدخل وأنا على وضوء، وأخرج وأنا على غير وضوء، فأخاف أن يدركني الموت قبل أن أتوضّأ، فقال له حذيفة: إنّك لطويل الأمل، لكنّي أرفع قدمي فأخاف أن لا أضع الأخرى حتّى أموت[2].

---

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي: ج١، ص٤٠٠.

(٢) أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين: ج٤، ص٦٠٣.

قد لا تستطيعون أن تكونوا قصيري الأمل بهذه الدقّة، ولكن أعينوا رسول الله صلى الله عليه وآله، والأئمة عليهم السلام، والأولياء قدر مستطاعكم.

أَعاننا الله على محاربة الهوى وطول الأمل، فانتصارنا عليهما مقدّمة مهمّة لانتصارنا على أعداء الله والإنسانية.

مواعظ
من نهج البلاغة

الرابعة
ذكر الموت

ذِكْرُ المَوْتِ

عن أَميرِ المؤمنينَ عليه السلام: «وَأُوصِيكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ، وَكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ، وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ، فَكَفَى وَاعِظاً بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُمْ، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ».

نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ٨٨.

كَيْفَ نَذْكُرُ مَا نَخَافُ مِنهُ؟

يوصي الإمام عليّ عليه السلام في هذه الخطبة من نهج البلاغة بذكر الموت، والحال أنّ أكثر الناس يخاف الموت، فكيف نوصيهم بذكره؟ فإنّ الإنسان يبتعد عن ذكر ما يخيفه، وينساه أو يتناساه لكي لا يتألّم، ولا يقلق، ولا يزعج باله، ويشغل خاطره.

أَسبابُ الخَوْفِ من المَوْتِ:

في الحقيقة إنّ للخوف من الموت أسباباً:

١- **الخَوْفُ من الفَناءِ والعَدَمِ**: إنّ كراهة معظم الناس للموت وخوفهم منه لأجل أنّ الإنسان حسب فطرته التي فطرها الله سبحانه، وجبلّته الأصيلة، يحبّ البقاء والحياة، ويتنفّر من الفناء والممات، وحيث إنّ في فطرة الإنسان هذا الحبّ وذاك التنفّر، فإنّه يحبّ ويعشق ما يرى فيه البقاء، ويحبّ ويعشق العالم الذي يرى فيه الحياة الخالدة، ويهرب من العالم الذي يقابله.

وحيث إنّ كثيراً من الناس لا يؤمن إيماناً يقينياً بعالم الآخرة، ولا تطمئنّ قلوبهم نحو الحياة الأزلية، والبقاء السرمديّ لذلك العالم، فإنّهم يحبّون هذه الدنيا، ويهربون من الموت حسب تلك الفطرة والجبلّة.

إنّ أكثر الناس تنشدّ قلوبهم إلى تعمير الدنيا، وتغفل عن تعمير الآخرة، ولهذا لا يرغبون في الانتقال من مكان فيه العمران والازدهار

إلى مكان فيه الدمار والخراب، وهذا ناتج من نقص في الإيمان والاطمئنان، وأمّا إذا كان الإيمان كاملاً، فلا يسمح الإنسان لنفسه أن يشتغل بأموره الدنيوية المنحطّة، ويغفل عن بناء الآخرة.

٢- الجهل بالموت: عن الإمام الجواد عليه السلام - لمّا سئل عن علّة كراهة الموت -: «**لأنّهم جهلوه فكرهوه، ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله عزّ وجلّ لأحبّوه، ولعلموا أنّ الآخرة خير لهم من الدنيا، ثم قال عليه السلام: يا أبا عبد الله[1] ما بال الصبيّ والمجنون يمتنع من الدواء المنقّي لبدنه والنافي للألم عنه؟ قال: لجهلهم بنفع الدواء، قال عليه السلام: والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً إنّ من استعدّ للموت حقّ الاستعداد فهو أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج، أما إنّهم لو عرفوا ما يؤدّي إليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبّوه أشدّ ما يستدعي العاقل الحازم الدواء لدفع الآفّات واجتلاب السلامة**»[2].

وعن الإمام العسكري عليه السلام: «**دَخَلَ عليٌّ بن محمّدٍ عليه السلام على مَريضٍ من أصحابهِ وهو يَبكي، ويَجزَعُ من المَوتِ، فقالَ لَهُ: يا عبدَ الله، تَخافُ من المَوتِ لأنّكَ لا تَعرِفُهُ، أرأيتُكَ إذا اتَّسَختَ، وتَقَذّرتَ، وتَأذَّيتَ مِن كَثرَةِ القَذَرِ والوَسَخِ علَيكَ، وأصابَكَ قُروحٌ، وجَرَبٌ، وعَلِمتَ أنّ الغَسلَ في حَمّامٍ يُزيلُ ذلكَ كلَّهُ، أما تُريدُ أن تَدخُلَهُ فَتَغسِلَ ذلكَ عنكَ؟**

---

(١) وفي نسخة كتاب الاعتقادات للشيخ الصدوق: «يا عبد الله».

(٢) بحار الأنوار، العلاّمة المجلسي: ج٦، ص١٥٦.

أوَما تكرَهُ أن لا تَدخُلَهُ فيَبقى ذلكَ علَيكَ؟ قالَ: بلى يَا بنَ رسولِ الله.

قالَ: فذاكَ المَوتُ، هو ذلكَ الحَمّامُ، و هو آخِرُ ما بقِيَ علَيكَ مِن تَمحيصِ ذُنوبِكَ، و تَنقِيَتِكَ مِن سَيّئاتِكَ، فإذا أنتَ وَرَدتَ علَيهِ وجاوَزتَهُ، فقد نَجَوتَ مِن كُلِّ غَمّ، وهَمٍّ، وأذىً، ووصَلتَ إلى كُلِّ سُرورٍ و فَرَحٍ، فسَكَنَ الرّجُلُ، واستَسلَمَ، ونَشِطَ، وغَمَّضَ عينَ نَفسهِ، ومضى لِسَبيلِهِ»[1].

٣- الخَوْفُ من العِقَابِ: ومثل هذا الخوف يلاحق المذنبين المؤمنين بالآخرة، فيخافون أن يحين حينهم وهم مثقلون بالآثام والأوزار، فينالوا جزاءهم، ولذلك يودّون أن تتأخّر ساعة انتقالهم إلى العالم الآخر.

ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: «**لَا تَكُنْ مِمَّنْ الْاْخِرَةَ بِغَيْرِ الْعَمَلِ... يَكْرَه الْمُوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِه، ويُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَه الْمُوْتَ مِنْ أَجْلِه... يَخْشَى الْمُوْتَ، ولَا يُبَادِرُ الْفَوْتَ**»[2].

وعن الإمام أبي عبدِالله عليه السلام قال: «**جاء رَجُلٌ إلى أبي ذَرٍّ فَقالَ: يا أبا ذَرٍّ ما لَنا نَكرَهُ المَوْتَ؟ فَقالَ: لأَنَّكُمْ عَمَّرْتُمُ الدُّنْيا وأَخْرَبْتُم الآخِرَةَ، فتكْرهُونَ أَنْ تُنْقَلُوا مِن عِمْرانٍ إلى خَرابٍ، فَقَالَ لَهُ: فَكَيْفَ تَرى قُدُومَنا عَلَى الله؟ فَقالَ: أَمَّا الُمحْسِنُ مِنْكُمْ فَكَالغَائِبِ يَقْدُمُ عَلَى أَهْلِهِ، وَأَمَّا الُمسِيءُ**

(١) بحار الأنوار، العلاّمة المجلسي: ج٦، ص١٥٦.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الحكمة ١٥٠.

مِنْكُمْ فَكَالآبِقِ يُرَدُّ عَلَى مَوْلاهُ....»[١].

هذه الأسباب للخوف من الموت - خوف العدم، والجهل بالموت، وخوف العقاب - عالجها الإسلام، حيث أحيا في القلوب الإيمان باليوم الآخر، وبذلك أبعد شبح الفناء، والانعدام من الأذهان، وبيّن أنّ الموت انتقال إلى حياة أبدية خالدة منعّمة.

ومن جهة أخرى دعا الإسلام إلى العمل الصالح، والابتعاد عن عصيان الله تعالى، كي يبتعد الإنسان عن الخوف من العقاب.

التَّهَيّؤُ لِسَاعةِ المَوْتِ:

وكوننا نحن مؤمنين بالحياة بعد الموت، وأنّه ليس فناءاً، وأنّه قنطرة نعبرها، إمّا الى جنّة، وإمّا إلى نار، كما عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«المَوتَ المَوتَ! ألا ولابُدَّ مِن المَوتِ، جاءَ المَوتُ بما فيهِ، جاءَ بالرَّوحِ، والرّاحَةِ، والكَرَّةِ المُبارَكةِ إلى جَنَّةٍ عالِيَةٍ لأهلِ دارِ الخُلودِ، الّذينَ كانَ لَها سَعيُهُم وفيها رغبَتُهُم، وجاءَ المَوتُ بما فيهِ بالشِّقوَةِ، والنَّدامَةِ، وبالكَرَّةِ الخاسِرَةِ إلى نارٍ حاميَةٍ، لأهل دارِ الغُرورِ، الّذينَ كانَ لَها سَعيُهُم، وفيها رغبَتُهُم»**[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: **«ومَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ، إِلَّا**

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٤٥٨.

(٢) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي: ج١٤، ص٦٠.

الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِه، وإِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ، وتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ، لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ، وإِنَّ غَائِباً يَحْدُوه الْجَدِيدَانِ -اللَّيْلُ والنَّهَارُ- لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الأَوْبَةِ، وإِنَّ قَادِماً يَقْدُمُ بِالْفَوْزِ أَوِ الشِّقْوَةِ، لَمُسْتَحِقٌّ لأَفْضَلِ الْعُدَّةِ، فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا، مَا تَحْرُزُونَ بِه أَنْفُسَكُمْ غَداً»(١).

فإذا كان الموت هكذا، وبهذه الخطورة والمصيرية، ينبغي لنا أن نتهيّأ لتلك الساعة التي لا مفرّ منها لأيّ أحد.

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**وبَادِرُوا الْمَوْتَ، وغَمَرَاتِه، وامْهَدُوا لَه قَبْلَ حُلُولِه، وأَعِدُّوا لَه قَبْلَ نُزُولِه**»(٢).

فالإنسان الحكيم لا يغمض عينيه عن الأمور الخطيرة والمصيرية، ولا يفعل كالنعامة التي تضع رأسها في التراب، متوهّمة أنّ الذئب الآتي إليها لن يفترسها!

الإنسان الحكيم يتهيّأ للأمور الخطيرة والمصيرية، ولا ينساها، ولا يتناساها؛ لأنها لا تنساه.

فالموت لا ينسانا، وإن نسيناه، أو تناسيناه، لذلك يوصينا أمير المؤمنين عليه السلام بذكر الموت حيث يقول: «**وأُوصِيكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْه، كَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ، وطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ**

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ٦٤.

(٢) المصدر السابق: الخطبة ١٩٠.

يُمْهِلُكُمْ؟»[١].

التَّفَكُّرُ بِالمَوْتِ:

إنّ الله تعالى كما أنّه خلق الحياة كذلك خلق الموت، قال تعالى: **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾**[٢].

فعلى الإنسان المؤمن أن يفكّر في الحياة الدنيا، وفي الموت الذي هو قنطرة للحياة الأبدية الباقية، قال عزَّ من قائل: **﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ * فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾**[٣].

ولكنّ المؤسف أنّ الإنسان يفكّر في دنياه الزائلة، ولا يفكّر في الموت الذي هو باب إلى الآخرة، إلى الحياة السرمدية، بل إنّ التفكير بالموت له تأثير إيجابيٌّ على حياته الدنيوية، فضلاً عن آخرته.

فإنّ وجهة نظر الإنسان نحو الموت وما بعده، مهمّة جداً في حياته، فكلّما كانت نظرته واقعية، وموضوعية، وصحيحة، كلّما كانت حياته سعيدة، ونشطة، ومتحرّكة، ومتفائلة، والعكس صحيح أيضاً.

فتركيبة الإنسان النفسية، ومن ثمّ سلوكه وأخلاقه، تتأثّر جداً

---

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ١٨٨.

(٢) سورة الملك: آية٢.

(٣) سورة البقرة: آية٢١٩ ـ ٢٢٠.

من خلال نظرته إلى الموت وما بعده.

فليس التفكير في الموت وما بعده، أو بالأحرى ليس الاعتقاد بوجهة نظر معيّنة تجاه الموت وما بعده، فكرة عابرة تمرّ بالخيال وترحل، ولو حاول الإنسان أن يخرجها من خياله وشعوره، فإنّها ستنزل رغماً عنه إلى لا شعوره، وعقله الباطنيّ، وكيانه النفسيّ، وتطبعه بطابع معيّن، إمّا سلباً، أو إيجاباً.

فعلى هذا ليس التفكير في الموت وما بعده موتاً بل حياة، أي له دخالة في حياة الإنسان، وبنائه الروحيّ، والنفسيّ، والعقليّ.

وأنتم إذا دقَّقتم جيداً ستعرفون؛ أنّ الإنسان إذا كانت نظرته إلى الموت على أنّه فناء، ستكون تركيبته النفسية معقّدة، خائفة، متشائمة، مضطربة، مستهترة، متحلِّلة، أمّا إذا كانت نظرته على النقيض من ذلك، واعتقد بأنّ الموت ليس انحلالاً تامّاً، ولا فناءً محضاً، إنّما حياة ثانية لها نكهتها الخاصّة، فستكون حياته النفسية، وتركيبته الروحية، متفائلة مطمئنة ملتزمة.

اكْتِشَافُ مَا بَعْدَ المَوْتِ يُحْيي أُمَماً وأَفْرَاداً:

يقول بعض الفلاسفة: «إنّ اكتشاف الموت هو الذي ينتقل بالشعوب والأفراد إلى مرحلة النضج العقليّ، أو البلوغ الروحيّ»[١].

صحيحٌ قول هذا المفكّر، وتؤيّده الوقائع التاريخية، وللتدليل على هذه الفكرة، نعطيكم مثالاً واحداً.

كان أكثر الأمّة العربية قبل الإسلام منكراً للحياة بعد الموت، يقول تعالى: ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّون**﴾[٢].

﴿**أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيد**﴾[٣].

﴿**أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُون**﴾[٤].

فكيف كانت حياتهم؟ كانت حياتهم حياة جهلٍ، وتخلّف، وتبعيّة، ولكن عندما جاء الإسلام، وغيّر نظرتهم إلى الموت وما بعده، تغيَّر العرب تغيّراً جذرياً، فانطلقوا في الدّنيا بكل انشراح وقوّة، وغيّروا مجرى التاريخ بعد أن كانوا هملاً.

---

(١) انظر: تغلب على الخوف، مصطفى غالب: ص٧٤.

(٢) سورة الجاثية: آية٢٤.

(٣) سورة السجدة: آية١٠.

(٤) سورة الصافات: آية٤٧.

فيتبيّن ممّا مرّ أنّ ذكر الموت والتفكّر فيه، وعدم نسيانه ضروريّ للفرد والمجتمع، فهو صمّام أمان للفرد، ودفع للمجتمع للتغيير، فشتّان بين من يحسب الموت فناء، ومن يقطع بأن الموت حياة أخرى، فالأوّل جبان، كما عليه اليهود في قوله تعالى: ﴿**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾[1]، ﴿**لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ**﴾[2]، والثاني شجاع كما عليه أبناء الإسلام.

ولهذا الاعتقاد درجات يترقّى فيها الإنسان، حتّى يصبح الموت بالنسبة له أمراً عادياً على حدّ تعبير أمير المؤمنين عليه السلام حينما سُئل: ما الاستعداد للموت؟ قال عليه السلام: «**أداءُ الفَرائضِ، و اجتِنابُ المَحارِمِ، والاشتِمالُ علَى المَكارِمِ، ثُمّ لا يُبالي أوَقَعَ علَى المَوتِ أم وَقَعَ المَوتُ علَيهِ. واللهِ، ما يُبالي ابنُ أبي طالبٍ أوَقَعَ علَى المَوتِ، أم وَقَعَ المَوتُ علَيهِ**»[3].

---

(١) سورة البقرة: آية٩٦.

(٢) سورة الحشر: آية١٤.

(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق: ص١٧٢.

مواعظ
من نهج البلاغة

الخامسة
حكمة الإختبار

حِكْمَةُ الإِخْتِبَارِ

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «... ولَكِنَّ اللهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَه بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، ويَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، ويَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِه، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، ولِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِه، وأَسْبَاباً ذُلُلًا لِعَفْوِه».

نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ١٩٢.

الإمتحانُ الإلهيُّ سُنّةٌ خَالِدةٌ:

يشير الإمام عليّ عليه السلام إلى حقيقة، وسنّة إلهية جارية على الناس في حياتهم الدنيوية، وهي سنّة الاختبار والامتحان، وهي حقيقة كثيراً ما أشار لها القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾[2].

«يفتنون» مشتقّ من «الفتنة»، وهي في الأصل: وضع الذهب في النّار؛ لمعرفة مقدار خلوصه، ثمّ أطلق هذا التعبير على كلّ امتحان ظاهريّ ومعنويّ.

---

(١) سورة العنكبوت: آية٢ ـ ٣.

(٢) سورة البقرة: آية١٥٥ – ١٥٧.

لِمَاذا الإِخْتِبَارُ الإِلهيُّ؟

في مجال الاختبار الإلهيّ تطرح بحوث كثيرة، وأوّل ما يتبادر للذهن في هذا المجال هو سبب هذا الاختبار، فنحن نختبر الأفراد لنفهم ما نجهله عنهم، فهل أنّ الله سبحانه وتعالى بحاجة إلى مثل هذا الاختبار لعباده، وهو العالم بكلّ الخفايا والأسرار؟! وهل هناك شيء خفي عنه حتّى يظهر له بهذا الامتحان؟!

والجواب: إنّ مفهوم الاختبار الإلهيّ يختلف عن الاختبار البشريّ.

اختباراتنا البشرية تستهدف رفع الإبهام والجهل، والاختبار الإلهيّ قصده «التربية»، وإيصال الإنسان إلى الكمال بإخراج الدفائن المكنونة فيه.

كثيراً ما تحدّث القرآن عن الاختبار الإلهيّ، باعتباره سنّة كونية مستمرّة من أجل تفجير الطاقات الكامنة، ونقلها من القوّة إلى الفعل، وبالتالي فالاختبار الإلهيّ من أجل تربية العباد، فكما أنّ الفولاذ يتخلّص من شوائبه عند صهره في النار، كذلك الإنسان يخلص وينقى في خضمّ الحوادث، ويصبح أكثر قدرة على مواجهة الصعاب والتحدّيات.

الاختبار الإلهيّ يشبه عمل زارع خبير، ينثر البذور الصالحة في الأرض الصالحة، كي تستفيد هذه البذور من مواهب الطبيعة وتبدأ

بالنموّ، ثمّ تصارع هذه البذرة كلّ المشاكل والصعاب بالتدريج، وتقاوم الحوادث المختلفة كالرّياح العاتية، والبرد الشديد، والحرّ اللافح، لتخرج بعد ذلك نبتة مزهرة، أو شجرة مثمرة، تستطيع أن تواصل حياتها أمام الصعاب.

ومن أجل تصعيد معنويات القوّات المسلّحة، يُؤخذ الجنود إلى مناورات وحرب اصطناعية، يعانون فيها من مشاكل العطش والجوع والحرّ والبرد والظروف الصعبة والحواجز المنيعة، وهذا هو سرُّ الاختبارات الإلهية.

يقول سبحانه في موضع آخر من كتابه العزيز: ﴿**وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ واللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور**﴾[1].

ويقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في بيان سبب الاختبارات الإلهية: «... **وإِنْ كَانَ سُبْحَانَه أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، ولَكِنْ لِتَظْهَرَ الأَفْعَالُ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ والْعِقَابُ**»[2].

أي أنّ الصفات الكامنة لا يمكن أن تكون وحدها معياراً للثواب والعقاب، فلا بدّ أن تظهر من خلال أعمال الإنسان، والله يختبر عباده ليتجلّى ما يضمرونه في أعماقهم، ولكي تنتقل قابليّاتهم من القوّة إلى الفعل، وبذلك يستحقّون الثواب أو العقاب.

(١) سورة آل عمران: آية ١٥٤.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الحكمة ٩٣.

لو لم يكن الاختبار الإلهيّ لما تفجّرت هذه القابليّات، ولما أثمرت الكفاءات، وهذه هي فلسفة الاختبار الإلهيّ في منطق الإسلام.

الإِخْتِبَارُ الإِلهيُّ عَامٌّ:

نظام الحياة في الكون نظام تكامل وتربية، وكلّ الموجودات الحيّة تطوي مسيرة تكاملها، حتّى الأشجار تعبّر عن قابليّاتها الكامنة بالأثمار، من هنا فإنّ كلّ البشر، حتّى الأنبياء، مشمولون بقانون الاختبار الإلهيّ كي تنجلي قدراتهم.

الامتحانات تشمل الجميع، وإن اختلفت شدّتها، وبالتالي تختلف نتائجها أيضاً، يقول سبحانه: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾[1].

القرآن يعرض نماذج لاختبارات الأنبياء، إذ يقول: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّه**﴾[2].

ويقول في موضع آخر بشأن اختبار النبيّ سليمان عليه السلام: ﴿**فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ..**﴾[3].

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ، وَلَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وَ بَلَاءٍ،**

(١) سورة العنكبوت: آية٢.
(٢) سورة البقرة: آية١٢٤.
(٣) سورة النمل: آية٤٠.

وَفِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ، وَمَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ، وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ، وَلَا كُلُّ نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ»[١].

ويقول عليه السلام: **«إِنَّ اللهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ»**[٢].

طرق الاختبار:

إنّ اختبار الله تعالى للناس متنوّع ومتعدّد، ولا يقتصر على الجانب السلبيّ.

يقول سبحانه: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾**[٣].

هذه الآية الكريمة تشير الى البلاء والاختبار في الجانب السلبيّ، لكنّ الآية التالية تعمّم الاختبار، يقول تعالى: **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُون﴾**[٤].

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ٨٨.

(٢) المصدر السابق: الخطبة ١٢٣.

(٣) سورة البقرة: آية١٥٥ ـ ١٥٧.

(٤) سورة الأنبياء: آية٣٥.

يروى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام مرض، فعاده قوم، فقالوا له: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟ فقال: أصبحت بشرّ، فقالوا له: سبحان الله هذا كلام مثلك؟! فقال: يقول الله تعالى: «ونبلوكم بالخير والشرّ فتنة، فالخير: الصحّة والغنى، والشرّ: المرض والفقر، ابتلاءً واختباراً»[١].

وعنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[٢]: «ومعنى ذلك أنّه سبحانه يختبر عباده بالأموال والأولاد ليتبيّن الساخط لرزقه والراضي بقسمه، وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم، ولكن لتظهر الأفعال التي بها يستحقّ الثواب والعقاب»[٣].

إذاً، فالامتحانات الإلهية تأتي بصور مختلفة:

فالجماعة الذين يعيشون في محيط ملوّث بالمفاسد والوساوس تحيط بهم من كلّ جانب، فإنّ امتحانهم الكبير في مثل هذا الجوّ والظروف، هو أن لا يتأثّروا بلون المحيط وأن يحفظوا أصالتهم ونقاءهم.

والجماعة الذين يعيشون تحت ضغط الحرمان والفقر، يرون أنّهم لو صمّموا على ترك رأس مالهم الأصيل «الإيمان»، فإنّهم سرعان ما يتخلّصوا من الفقر والحرمان، لكنّ ثمن ذلك هو فقدانهم للإيمان، والتقوى، والكرامة، والحريّة، والشرف، فهنا يكمن امتحانهم.

---

(١) الدعوات، قطب الدين الراوندي: ص١٦٩.

(٢) سورة الأنفال: آية٢٨.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج١٨، ص٢٤٨.

وجماعة آخرون على عكس أُولئك، غرقى في اللذائذ والنعم، والإمكانات المادية متوفّرة لديهم من جميع الوجوه، ترى هل يؤدّون في مثل هذه الظروف الشكر على النعم، أم سيبقون غرقى في اللذائذ والغفلة وحبّ الذات والأنانية، غرقى الشهوات والاغتراب عن المجتمع وعن أنفسهم؟!

وجماعة منهم كالمتغرّبين في عصرنا، يرون بعض الدول بعيدة عن الله والفضيلة والأخلاق حقّاً، ولكنّها تتمتّع بالتمدّن المادّيّ المذهل والرفاه الاجتماعيّ، هنا تجذب هؤلاء المتغرّبين قوّة خفيّة إلى سلوك هذا النوع من الحياة، أو سحق جميع القيم والأصول والأعراف التي يعتقدون بها، ويبيعون أنفسهم أذلّاء عملاء لتلك الدول، ليوفّروا لهم ولمجتمعهم مثل هذه الحياة، وهذا نوع آخر من الامتحان.

المصائب، والآلام والهموم، والحروب والنزاعات، والقحط والغلاء، وما تثيره الحكومات الأنانية لتجذبهم إليها، وتستعبدهم به، وأخيراً الأمواج النفسية القوية والشهوات، كلّ منها وسيلة للامتحان في طريق عباد الله، والسائرين في الميادين، التي تتميّز فيها شخصيّة الأفراد وتقواهم وإيمانهم وطهارتهم وأمانتهم وحرّيتهم.. الخ.

ولكن لا طريق للانتصار في هذه الامتحانات الصعبة لاجتيازها إلاّ الصبر والجدّ والسعي المستمر، والاعتماد على لطف الله سبحانه.

ومن الطريف أنّنا نقرأ حديثاً عن أحد المعصومين عليهم السلام في أصول

الكافي في تفسير الآية: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾ يقول فيه: «يُفتنون كما يُفتن الذهب، ثمّ قال: يخلصون كما يخلص الذهب»[١].

وعلى كلّ حال، فإنّ طالبي العافية الذين يظنّون أنّ إظهار الإيمان كاف بهذا المقدار؛ ليكونوا في صفوف المؤمنين وفي أعلى علّيين في الجنّة مع النّبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، فهم في خطأ كبير.

وعلى حدّ تعبير أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «**والَّذِي بَعَثَه بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً، ولَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً ولَتُسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ، حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ، وأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ**»[٢].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج١، ص٣٧٠.

(٢) نهج البلاغة، تحصيق صالح: الخطبة ١٦.

مواعظ
من نهج البلاغة

السادسة
اجتناب الشبهات

إِجْتِنَابُ الشُبُهَاتِ

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ[1] لَه الْعِبَرُ[2] عَمَّا بَيْنَ يَدَيْه مِنَ الْمُثُلَاتِ[3]، حَجَزَتْه التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ[4]» نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ١٦.

(١) صَرَّحَتْ: كشفت.

(٢) الْعِبَرُ: بكسر ففتح جمع عبرة: الموعظة.

(٣) الْمُثُلَاتِ: العقوبات.

(٤) الشبهات: جمع شبهة: الالتباس، ما يلتبس فيه الحقّ بالباطل، والحلال بالحرام.

إنّ قول الإمام عليّ عليه السلام فيه إشارة إلى أمرين لا بدّ من مراعاتهما لمن يريد السّلوك إلى الله تعالى، وهما:

١ - الاعتبار: «إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَه الْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْه مِنَ الْمَثُلَاتِ».

يَعتبرُ الإِسلام رَبْطَ الماضي بالحاضر والحاضر بالماضي أمراً ضرورياً لفهم الحقائق، لأنّ الارتباط بين هذين الزمانين (الماضي والحاضر) يكشف عن مسؤولية الأجيال القادمة، ويوقفها على واجبها.

وهذا يعني أنّ لله في الأُمم سنناً لا تختصّ بهم، بل هي سنن وقوانين عامّة في الحياة تجري على الحاضرين كما جرت على الماضين سواء بسواء، وهي سنن للتقدّم والبقاء، وسنن للتدهور والاندحار، التقدّم للمؤمنين المتّقين المجاهدين المتّحدين الواعين، والتدهور والاندحار للأُمم المتفرّقة المتشتّتة الكافرة الغارقة في الذنوب والآثام.

إنّ للتاريخ أهمّية حيوية لكلّ أمّة من الأُمم، لأنّ التاريخ يعكس الخصوصيات الأخلاقية، والأعمال الصالحة وغير الصالحة، والأفكار التي كانت سائدة في الأجيال السابقة، كما يكشف عن علل سقوط المجتمعات أو سعادتها، ونجاحها وفشلها في العصور الغابرة المختلفة.

وبكلمة واحدة: إنّ التاريخ مرآة الحياة الروحية والمعنوية للمجتمعات البشرية، وهو لذلك خير مرشد محذّر للأجيال القادمة.

إنّ آثار الماضين خير عِبرة للقادمين، وبالنظر فيها والاعتبار بها

يمكن للناس أن يعرفوا المسير الصحيح للسلوك والحياة.

ولهذا نجد القرآن الكريم يدعو المسلمين إلى السير في الأرض، والنظر بإمعان وتدبّر في آثار الأُمم والشعوب التي سادت ثمّ بادت إذ يقول: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾(١)، ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَار**﴾(٢).

وقد أشار الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذه الحقيقة في كلمات وخطب عديدة منها قوله: «**فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، مِنْ بَأْسِ الله وصَوْلَاتِه ووَقَائِعِه ومَثُلَاتِه، واتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ ومَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ، واسْتَعِيذُوا بِالله مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ، كَمَا تَسْتَعِيذُونَه مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ.**

واحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالأُمَمِ قَبْلَكُمْ، مِنَ الْمَثُلَاتِ بِسُوءِ الأَفْعَالِ وذَمِيمِ الأَعْمَالِ، فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ والشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، واحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ، فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ، فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِه شَأْنَهُمْ، وزَاحَتِ الأَعْدَاءُ لَه عَنْهُمْ، ومُدَّتِ الْعَافِيَةُ بِه عَلَيْهِمْ، وانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَه مَعَهُمْ ووَصَلَتِ الْكَرَامَةُ عَلَيْه حَبْلَهُمْ، مِنَ الِاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ واللُّزُومِ لِلأُلْفَةِ، والتَّحَاضِّ عَلَيْهَا والتَّوَاصِي بِهَا، واجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ وأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ، مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ وتَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وتَدَابُرِ النُّفُوسِ

(١) سورة آل عمران: آية١٣٧.

(٢) سورة الحشر: آية٢.

وتَخَاذُلِ الأَيْدِي»[١].

ولذلك نرى القرآن الكريم عامراً بقصص الماضين، يقول سبحانه: **﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا﴾**[٢].

﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِين﴾[٣].

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾[٤].

﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٥].

ويقول أيضاً: **﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾**[٦].

٢- التقوى: «حجزه التّقوى عن التّقحّم فى الشّبهات».

والوجه فيه هو: أنّ الإنسان العاقل إذا اعتبر بما وقع من الحوادث على الأمم الماضية في القرون السّالفة، وعلم أنّ العلّة و السّبب فيها لم تكن إلّا العصيان، والمخالفة لأوامر الله تعالى، وارتكاب المنهيات،

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة١٩٢.

(٢) سورة الأعراف: آية١٠١.

(٣) سورة هود: آية١٢٠.

(٤) سورة طه: آية٩٩.

(٥) سورة الأعراف: آية١٧٦.

(٦) سورة يوسف: آية١١١.

وعدم الانقياد للنّواميس الشّرعية التي بعث الله تعالى الأنبياء لأجلها، فلا جرم يكون هذا الاعتبار مانعاً له عن الدخول في الشّبهات فضلاً عن المحرّمات.

وللورع مراتب كثيرة: فورع العوام: الاجتناب عن الكبائر، وورع الخواصّ: الابتعاد عن الشبهات؛ خشية الوقوع في المحرّمات. وورع أهل الزهد: الاجتناب عن المباحات للابتعاد عن وزرها.

وورع أهل السلوك: ترك النظر إلى الدنيا لأجل الوصول إلى المقامات، وورع المجذوبين: ترك المقامات لأجل الوصول إلى باب الله، ومشاهدة جمال الله، وورع الأولياء: الاجتناب عن التوجّه إلى الغايات.

وقد أشير إلى ورع الخواصّ في روايات عديدة منها:عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**حَلالٌ بَيِّنٌ، وَحَرامٌ بَيِّنٌ، وَشُبَهاتٌ بَيْنَ ذلِكَ، فَمَنْ تَرَكَ الشُّبَهاتَ نَجا مِنَ الْمُحَرَّماتِ، وَمَنْ أَخَذَ بِالشُّبَهَاتِ إرْتَكَبَ الْمُحَرَّماتَ، وَهَلَكَ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُ**»[1] وذلك لأنّ الوقوف عند الشّبهات خير من الاقتحام في الهلكات.

وعن النّعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**إنّ لكلّ ملك حمى، وإنّ حمى الله حلاله و حرامه، والمشتبهات بين ذلك، كما لو أنّ راعياً رعى الى جانب الحمى، لم يثبت غنمه أن تقع في وسطه،**

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج١، ص٦٨.

فدعوا المشتبهات»[١].

وعن فضيل بن عياض عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: مَن الورعِ من النّاس؟ قال عليه السلام: «**الَّذِي يَتَوَرَّعُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ،وَ يَجْتَنِبُ هَؤُلاَءِ، وَ إِذَا لَمْ يَتَّقِ الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ،وَ هُوَ لاَ يَعْرِفُهُ**»[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «**أَوْرَعُ النَّاسِ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ الشُّبُهَةِ...**»[٣].

ازْدِوَاجُ الشَّخْصيةِ:

إنّ هناك أناساً يملكون شخصية مزدوجة، فهم أتقياء ورعون، محتاطون في أمور، وغير مبالين في أمور أخرى.

هل سمعت أحداً يعيش حالة الوسوسة في الشبهات المالية؟ مَن من [الوسواسيين] دفع الزكاة، أوالخمس مرات عديدة؟ وذهب إلى الحجّ لأداء الواجب مرات متكرّرة؟ وأعرض عن الطعام المشتبه؟ لماذا كانت أصالة الحلّية في الأطعمة المشتبهة جارية؟ وأصالة الطهارة في مشكوك النجاسة غير جارية؟

بل على العكس تماماً فقد كانت سيرة أهل البيت عليهم السلام على عدم الإكتراث بالوسوسة في أمور الطهارة والنجاسة، نعم كانوا يحتاطون

---

(١) بحار الأنوار، العلاّمة المجلسي: ج٢، ص٢٥٩.

(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج١٢، ص١٧٧.

(٣) المصدر السابق: ج١١، ص ٢٧٨.

في حقوق الباري عزوجل وحقوق العباد، بشكل لا مثيل له، وهذا المسكين الذي يرى نفسه محتذياً حذو الأئمة عليهم السلام وآخذاً دينه منهم، لا يتّقي لدى التصرّف في الأموال، ولا يحتاط تجاه الطعام، بل يتّكل على قاعدة أصالة الطهارة ويأكل، ثم يقوم ويغسل فمه ويديه.

إنّه حين الأكل يتمسّك بأصالة الطهارة، وبعد أن يشبع يقول: كل شيء نجس.

مِثَالٌ لاجْتِنَابِ الشُبُهَاتِ:

«إنّ تعويد النفس على الغيبة في الأحوال الجائزة، يضرّ بحالها أيضاً، لأن النفس تميل نحو الشرور والقبائح، فمن المحتمل أن ينجرّ [الإنسان] رويداً رويداً من الموارد الجائزة إلى مرحلة أخرى وهي الموارد المحرّمة، كما أنّ الدخول في الشبهات غير محمود، رغم جوازه؛ لأنّها حمى المحرّمات، ومن الممكن أنّ الاقتحام في الحمى يفضي إلى الدخول في المحرّمات.

يجب على الإنسان مهما أمكن أن يبعد النفس عن الغيبة في الأحوال المسموحة، ويحترز عن الأمور التي يحتمل أن يكون فيها طغيان للنفس»[1].

(١) الأربعون حديثاً، السيد الخميني قدس سره: الحديث ١٩، ص ٢٩٢- ٢٩٣.

قَصَصٌ لاجْتِنَابِ الشُبُهَاتِ:

دعا أبو عبد الله عليه السلام مولى له يقال له: مصادف، فأعطاه ألف دينار وقال له: تجهّز، حتّى تخرج إلى مصر، فإنّ عيالي قد كثروا، قال: فتجهّز بمتاع، وخرج مع التجّار إلى مصر، فلمّا دنوا من مصر، استقبلتهم قافلة خارجة من مصر، فسألوهم عن المتاع الذي معهم ما حاله في المدينة؟ وكان متاع العامّة[١]، فأخبروهم: أنّه ليس بمصر منه شيء، فتحالفوا وتعاقدوا على أن لا ينقصوا متاعهم من ربح الدينار ديناراً فلمّا قبضوا أموالهم وانصرفوا إلى المدينة فدخل مصادف على أبي عبد الله عليه السلام ومعه كيسان في كلّ واحد ألف دينار، فقال: جعلت فداك هذا رأس المال وهذا الآخر ربح، فقال: إنّ هذا الربح كثير ولكن ما صنعته في المتاع؟ فحدّثه كيف صنعوا وكيف تحالفوا،: فقال: سبحان الله تحلفون على قوم مسلمين ألّا تبيعوهم إلّا ربح الدينار ديناراً، ثمّ أخذ الكيسين[٢] فقال: هذا رأس مالي، ولا حاجة لنا في هذا الربح، ثمّ قال: يا مصادف مجادلة السيوف أهون من طلب الحلال[٣].

إنّ المراجع لسيرة علمائنا الأبرار يلاحظ مدى احتياطهم وبعدهم عن الشبهات، وهذه بعض قبساتهم المعبّرة.

---

(١) (متاع العامة) أي الذي يحتاج إليه عامة الناس.

(٢) وفي مستدرك الوسائل: «أحد الكيسين».

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ج٥، ص١٦٢.

يروى عن آية الله السيّد محمّد باقر الدرجه: دعاه أحد التجّار الأثرياء مع عدد من العلماء والطلّاب، ومدّ سفرة وسيعة أنيقة مكلفة، عليها أنواع الأطعمة، وكعادته رحمه الله اكتفى بتناول مقدار قليل من الطعام، وبعد الانتهاء من تناول الطعام وغسل الأيدي، قدّم صاحب الدعوى للسيّد سنداً يتضمّن أمراً حراماً بحسب فتواه، وطلب منه أن يوقّع عليه.

أدرك (رضوان الله عليه) أنّ هذه الوليمة كانت مقدّمة لإمضاء هذا السند.

إنّ فيها إذن شبهة الرشوة، فتغيّر لونه وارتعدت فرائصه، وقال: أيّة إساءة أسأتها إليك حتّى وضعت في حلقي هذا الزقّوم؟!

لماذا لم تأتِ بهذا السند قبل الغداء حتّى لا ألوّث يدي بهذا الطعام؟

ثمّ نهض مضطرباً ومضى مسرعاً إلى المدرسة، وجلس بجوار الحديقة المقابلة لحجرته، ووضع إصبعه في فمه حتّى استفرغ، ثمّ تنفس الصعداء[1].

(١) سيماء الصالحين: ص٤٧.

مواعظ
من نهج البلاغة

السابعة
كيد الشيطان

كَيْدُ الشَّيْطَانِ

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**اتّخذوا الشيطان لأمرهم مِلاكاً[1]، واتّخذهم له أشراكاً[2]، فباض وفرّخ[3] في صدورهم، ودبّ[4] ودرج[5] في حجورهم[6]، فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم، فركب بِهم الزَّلل[7] وزيّن[8] لهم الخَطَل[9] فِعْلَ من قد شَرِكَهُ الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه**» نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ٧ .

(١) ملاك الأمر: ما به قوامه وديمومته.

(٢) الأشراك: جمع شرك حبائل الصيد.

(٣) باض وفرّخ: كناية عن توطنه صدورهم وطول مكثه فيها، لأنّ الطائر لا يبيض إلا في عشّه، وفراخ الشيطان وساوسه.

(٤) دبّ: مشى على اليدين والرجلين كالطفل.

(٥) درج: مشى.(٦) الحجور: مفردها حجر وهو الحضن وفلان نشأ في حجر فلان أي في كنفه ومنعته. (٧) الزلل: الخطأ. (٨) زيّن له الأمر: حسّنه والشيء زخرفه. (٩) الخطل: أقبح الخطأ.

أَخْلَاقُ الشَّيْطَانِ:

إنّ الإنسان المؤمن كما أنّه مدعوّ لمعرفة الله تعالى وأخلاقه ليتخلّق بها: «**تخلّقوا بأخلاق الله**»[١]، كذلك هو مدعوّ لمعرفة عدوّه الشيطان الرجيم؛ ليبتعد عن أخلاقه.

والشيطان هو: كلّ موجود مؤذٍ، مغوٍ، طاغٍ، متمرّد، إنساناً كان أم غير إنسان، وإبليس: اسم الشيطان الذي أغوى آدم، ويتربّص هو وجنده الدوائر بأبناء آدم دوماً[٢].

وللشيطان أخلاق وصفات منها:

١- الإِسْتِكْبَارُ والعَصَبيّةُ: ففي خطبة لأمير المؤمنينعليه السلام: وهي تتضمّن ذمّ إبليس لعنه الله على استكباره، وتركه السجود لآدم عليه السلام، و أنّه أوّل من أظهر العصبية، واتبع الحميّة، وفيها تحذير الناس من سلوك طريقته: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾

قال عليه السلام: «﴿**فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ**﴾، **اعْتَرَضَتْه الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِه، وتَعَصَّبَ عَلَيْه لأَصْلِه، فَعَدُوُّ اللهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ وسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ،**

---

(١) راجع: إرشاد القلوب، للديلمي: ص١٢٧، الباب ٣٨ (في الصبر)، وبحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٦١، ص١٢٩، وإحياء علوم الدين، للغزالي: ج٤، ص٦١.

(٢) انظر: الأمثل، الشيخ مكارم الشيرازي: ج١، ص١٧١.

ونَازَعَ اللهَ رِدَاءَ الجُبْرِيَّة، وادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ»[١].

لذلك على الإنسان المؤمن أن لا يتعصّب إلّا للحقّ والدين، ويبتعد عن أيّ عصبيّة أخرى، حتّى لو كان لأهله وإخوته وأقاربه.

٢- اتّباع الهوى: من صفات الشيطان اتّباع هواه، فهو يريد عبادة ربّه حسب هواه، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**أمر الله إبليس بالسجود لآدم، فقال: يا ربِّ وعزّتِك إن أعفيتَني من السجود لآدَم لأعبُدَنّك عباده ما عبدَك أحدٌ قطّ مثلها، قال الله جلّ جلاله: إنّي أُحِبُّ أن أُطاعَ مِن حيثُ أريد**»[٢].

وكم نرى من الناس من يتّصف بهذه الصفة، حيث يريد ديناً حسب ما تشتهي نفسه، فبعضهم تقول له أطع الله، صلّ الصلوات الخمس، زكِّ، خمّس، انته عن المعاصي، يجيب: إنّما الإيمان في القلب، وينسى أو يتناسى أنّ الإيمان بالقلب لا يكفي إن لم يلزمه العمل الصالح، لذلك نرى في كثير من الآيات الكريمة قَرْنَاً دائماً بين الإيمان والعمل الصالح، يقول تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[٣].

ويقول سبحانه: ﴿**وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى**

---

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة١٩٢.

(٢) بحار الأنوار، العلاّمة المجلسي: ج٢، ص٢٦٢.

(٣) سورة العصر: آية١ ـ ٣.

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[1].

فنلاحظ في الآية الشريفة: أنّ أيّ عمل للصالحات، لا بدّ -حتّى يؤتي ثمرته وهي دخول الجنّة- أن يكون مقروناً بالإيمان.

خُطُوَاتُ الشَّيْطَانِ:

من الأمور التي تساعد على مجابهة الشيطان معرفة خططه، ومن خططه أنّه لا يوقع الإنسان المؤمن في المعاصي الكبيرة بخطوة واحدة وبشكل مكشوف،بل يعطيه السموم على جرعات، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿**وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ البقرة:٨٦١، فعبارة ﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾**، قد تشير إلى مسألة تربوية دقيقة، وهي أنّ الانحرافات تدخل ساحة الإنسان بشكل تدريجيّ، لا دفعيّ فوريّ، فتلوُّث شابٍّ بالقمار، أو شرب الخمر، أو بالمخدّرات، يتمّ على مراحل:فمثلاً يشترك أوّلاً متفرّجاً في جلسة من جلسات لعب الورق، ظانّاً أنّه عمل اعتياديّ لا ضير فيه.

ثمّ يشترك في اللعب للترويح عن النفس (دون ربح أو خسارة)، أو يتناول شيئاً من المخدّرات بحجّة رفع التعب، أو المعالجة، أو أمثالها من الحجج.

وفي الخطوة الأخرى يمارس العمل المحرّم قاصداً أنه يمارسه

---

(١) سورة النساء: آية١٢٤.

مؤقتاً.

وهكذا تتوالى الخطوات، واحدة تلو الأخرى، ويصبح الفرد مقامراً محترفاً، أو مدمناً مريضاً.

فوساوس الشيطان تدفع بالفرد على هذه الصورة التدريجية نحو هاوية السقوط، وليست هذه طريقة الشيطان الأصليّ فحسب، بل كلّ الأجهزة الشيطانية تنفّذ خططها المشؤومة على شكل «خُطُوات»، لذلك يُحذّر القرآن كثيراً من اتّخاذ الخطوة الأولى على طريق الانزلاق.

يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِين**﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ**﴾[2].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ**»[3].

وعنه عليه السلام: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ، وَ يُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً**»[4].

---

(١) سورة البقرة: آية١٦٨.

(٢) سورة النور: آية٢١.

(٣) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة١٥١.

(٤) المصدر السابق: الخطبة ١٢١.

مَا يُسَاعِدُ الشَّيْطَانَ على الإِنْسَانِ:

ثم إن هناك أموراً عديدة تساعد الشيطان على الإنسان، منها:

١ - مجالسة أهل الهوى: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**وَاعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلْإِيمَانِ، محضرةٌ للشيطان**»(١).

من هنا حذّر الإمام من مجالسة أهل الأسواق، لأنّ أكثرهم أهل هوى: «**وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ، فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ، وَمَعَارِيضُ الْفِتَنِ**»(٢).

٢- الإفتراق عن جماعة أهل الحقّ: فعنه عليه السلام: «**وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ، وَ ضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ**»(٣).

فلذلك لا بدّ أن يحرص الإنسان على البقاء في أجواء أهل الحق والذكر وعمل الخير، ولا يشذّ عنهم؛ كي لا يقع في شرك ومصيدة إبليس اللعين.

٣- الظلم والكبر: فعنه عليه السلام: «**فَاللهَ اللهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ، فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى،**

---

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ٨٦.

(٢) المصدر السابق: الكتاب ٦٩.

(٣) المصدر السابق: الخطبة ١٢٧.

وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى، الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ»[١].

فلذلك لا بدّ من الاجتناب عن الظلم والكبر؛ كي لا يقع المؤمن في مكيدة إبليس.

٤- الإنشغال بعيوب غيره عن عيوب نفسه: فعنه عليه السلام: «**فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وَارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ**»[٢].

وهذه آفّة عظيمة عند الإنسان، حيث يُلقي بالملامة دائماً على غيره، ويُبرّئ نفسه، بينما نجد الأولياء يقولون: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾[٣].

٥- الوقوع في الفتنة: فعنه عليه السلام: «**وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ، انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ، وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ، فَيُمْزَجَانِ، فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنى**»[٤].

فلا بدّ من المعرفة والتعلّم والوعي لكي يستطيع الإنسان أن يميّز

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ١٩٢.

(٢) المصدر السابق: الخطبة ١٥٧.

(٣) سورة يوسف: آية٥٣.

(٤) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ٥١.

بين الحقّ والباطل، وعليه بالرجوع إلى العلماء وإلى المخلصين الواعين من المؤمنين؛ كي ينصحوه، فلا يقع في الفتنة، وبالتالي يضلّ الطريق.

٦- الإعجاب بالنفس وحبّ المدح: فعنه عليه السلام: «**وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الْإِطْرَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ**»[١].

فإنّ الإعجاب بالنفس، وانتظار مدح الناس له، يؤدّي إلى محق العمل، فيدخل إبليس من هذا الباب، وتكون نهاية الإنسان التعب في الدنيا، والخسران في الآخرة.

٧- الشكّ: عنه عليه السلام: «**وَمَنْ تَرَدَّدَ فِي الرَّيْبِ وَطِئَتْهُ سَنَابِكُ الشَّيَاطِينِ**»[٢].

لذلك لا بدّ من أن يخطو الإنسان المؤمن في كل خطواته بثقة وعلم، ومعرفة، ويقين، لا سيما في المعتقدات، حتّى لا يقع تحت وطأة حوافر الشياطين.

٨ - الغضب: فعنه عليه السلام: «**وَاحْذَرِ الْغَضَبَ، فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ**»[٣].

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الكتاب ٥٣.

(٢) المصدر السابق: الحكمة ٣١.

(٣) المصدر السابق: الكتاب ٦٩.

وقال عليه السلام أيضاً: «**وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ**»(١).

ومن الواضح أنّ الغضب نار تشتعل في الإنسان، فتطغى على العقل، وبالتالي يقع بالمفسدة والضرر.

٩- الإفراط في حبّ النساء، والخلوة بالأجنبية: عن الإمام عليّ عليه السلام: «**الفتن ثلاث: حبّ النساء، وهو سيف الشيطان، وشرب الخمر، وهو فخّ الشيطان، وحب الدينار والدرهم، وهو سهم الشيطان**»(٢).

وفي الرواية أنّه قال إبليس لموسى عليه السلام: يا موسى لا تخل بامرأة لا تحلّ لك، فإنه لا يخلو رجل بامرأة لا تحلّ له، إلا كنت صاحبه دون أصحابي(٣).

فلشدّة خطورة هذه الخطوة، ولأنها سريعة في إيقاع المؤمن بالمعصية يتدخّل إبليس بنفسه؛ ليوقع المؤمن بما يغضب الله، لذلك لا بدّ من أخذ الحيطة للدين، والحذر من الخلوة بالمرأة الأجنبية.

١٠- حبّ المال والترف: عنه عليه السلام من كتاب له إلى معاوية: «**فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ، قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَه، وبَلَغَ فِيكَ أَمَلَه، وجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ والدَّمِ**»(٤).

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الكتاب ٧٦ .

(٢) بحار الأنوار، العلاّمة المجلسي: ج٢، ص١٠٧ .

(٣) المصدر السابق: ج١٣، ص٣٥٠.

(٤) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الكتاب ١٠ .

وعنه عليه السلام: «**إنّ الشَّيطانَ يُديرُ ابنَ آدمَ في كلِّ شيءٍ، فإذا أعياهُ جَثَمَ لَهُ عِندَ المالِ، فأخَذَ برَقَبَتِهِ**»(١).

وهذه مصيبة عامّة البلوى، تأخذ بالإنسان برقبته وتورده المهالك، فعلى الإنسان أن يعي أنّ المال ليس إلّا وسيلة للعيش في هذه الدنيا الفانية برضا الله والتقرّب إليه فيها للوصول إلى ذلك العالم، فالمال وسيلة لرضا الله سبحانه، وليس هدفاً بنفسه.

١١ - الحسد والعداوة: يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء**﴾(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**يقول إبليس لجنوده: يَقُولُ إِبْلِيسُ لِجُنُودِهِ: أَلْقُوا بَيْنَهُمُ الحَسَدَ والبَغْيَ، فَإِنَّهُمَا يَعْدِلَانِ عِنْدَ الله الشِّرْكَ**»(٣).

مَا يُسَاعِدُ الإِنسانَ على الشَّيْطَانِ:

لقد أشرنا في الدرس السابق كيف يستطيع إبليس عبر خطوات أن يوقع الإنسان في الهاوية، ولا بدّ من التعرف إلى ما يساعد هذا الإنسان للتغلّب على إبليس، فإنّ الله سبحانه أودع هذه القوّة في الإنسان، ليستطيع الوصول إلى الجنّة بعد هذا الامتحان الكبير فيستحقّ

---

(١) شرح أصول الكافي، المولى محمّد صالح المازندراني: ج٩، ص٣٣٧.

(٢) سورة المائدة: آية٩١.

(٣) بحار الأنوار، العلاّمة المجلسي: ج٧٢، ص ٢٧٨.

بذلك رضا الله والجنّة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ، وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ**»[١].

فالشيطان أضعف ركناً من الإنسان، وقد هيئ الله تعالى للإنسان جملة من الأمور التي يمكن أن يقهر الشيطان بها، نذكر منها:

١- **العبادة:** في خطبة للإمام عليّ عليه السلام بعد أن يحذّر من الشيطان يذكر ما يحرس منه، فيقول: «**وعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ، وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ**»[٢].

٢- **الدعاء:** يقول تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[٣].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**أكثِرِ الدُّعاءَ، تَسلَمْ مِن سَوْرَةِ الشَّيطانِ**»[٤].

فالدعاء وهو من لحظات الأنس مع الله سبحانه، ومن أهمّ الأمور المقرّبة منه تعالى، والتي تعين على الابتعاد عن إبليس اللعين.

٣- **ذكر الله:** عن الإمام الصادق عليه السلام: «**قالَ إبليسُ: خَمسَةٌ لَيسَ**

---

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ١٩٢.

(٢) المصدر السابق: الخطبة ١٩٢.

(٣) سورة غافر: آية ٦٠.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٥، ص٩.

لي فيهنَّ حيلَةٌ وسائِرُ النّاسِ في قَبضَتي: مَنِ اعتَصَمَ بِاللهِ عَن نِيَّةٍ صادِقَةٍ، وَاتَّكَلَ عَلَيهِ في جَميعِ اُمورِهِ، ومَن كَثُرَ تَسبيحُهُ في لَيلِهِ ونَهارِهِ، ومَن رَضِيَ لِأَخيهِ المُؤمِنِ بِما يَرضاهُ لِنَفسِهِ، ومَن لَم يَجزَع عَلَى المُصيبَةِ حينَ تُصيبُهُ، ومَن رَضِيَ بِما قَسَمَ اللهُ لَهُ، ولَم يَهتَمَّ لِرِزقِهِ»(١).

قِصّةٌ لَطيفَةٌ:

رُويَ عن الإمام الصَّادقِ عليه السلام أنّه: **«لَمّا نَزَلَت هذِهِ الآيَةُ: «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَـلَمُواْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللهَّ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ»، صَعِدَ إبليسُ جَبَلاً بِمَكَّةَ يُقالُ لَهُ: ثَورٌ، فَصَرَخَ بِأَعلى صَوتِهِ بِعَفاريتِهِ، فَاجتَمَعوا إلَيهِ، فَقالوا : يا سَيِّدَنا لِمَ دَعَوتَنا؟ قالَ: نَزَلَت هذِهِ الآيَةُ، فَمَن لَها؟ فَقامَ عِفريتٌ مِنَ الشَّياطينِ فَقالَ: أنَا لَها بِكَذا، وكَذا، قالَ: لَستَ لَها، فَقامَ آخَرُ فَقالَ: مِثلَ ذلِكَ، فَقالَ: لَستَ لَها، فَقالَ الوَسواسُ الخَنّاسُ: أنَا لَها، قالَ: بِماذا؟ قالَ: أعِدُهُم واُمَنّيهِم، حَتّى يُواقِعُوا الخَطيئَةَ، فَإِذا واقَعُوا الخَطيئَةَ، أنسَيتُهُمُ الِاستِغفارَ، فَقالَ: أنتَ لَها، فَوَكَّلَهُ بِها إلى يَومِ القِيامَةِ»**(٢).

٤- **الإعتصام بالقرآن والنبيّ والآل:** عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْكَبَ سَفِينَةَ النَّجَاةِ، وَيَسْتَمْسِكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى، وَيَعْتَصِمَ بِحَبْلِ اللهِ الْمَتِينِ، فَلْيُوَالِ عَلِيّاً بَعْدِي، وَلْيُعَادِ عَدُوَّهُ، وَلْيَأْتَمَّ بِالْأَئِمَّةِ الْهُدَاةِ**

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٦٠، ص ٢٤٨.

(٢) المصدر السابق: ج٦٦، ص٣٤٩.

مِنْ وُلْدِهِ، فَإِنَّهُمْ خُلَفَائِي، وَأَوْصِيَائِي، وَحُجَجُ اللهِ عَلَى الْخَلْقِ بَعْدِي، وَسَادَةُ أُمَّتِي، وَقَادَةُ الْأَتْقِيَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ، حِزْبُهُمْ حِزْبِي، وَحِزْبِي حِزْبُ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ، وَحِزْبُ أَعْدَائِهِمْ حِزْبُ الشَّيْطَانِ»[١].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ، واسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، ومَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَه، مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُه، ولَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وأَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُه، فَكِلْ عِلْمَه إِلَى اللهِ سُبْحَانَه، فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللهِ عَلَيْكَ**»[٢].

وفي زمن غيبة الإمام المهديّ (عجل الله فرجه الشريف)، ينبغي الاعتصام واللجوء إلى المرجع الأعلم، فإنّه بما يملك من علم، وعدالة، وبصيرة، وشجاعة، وزهد في الدنيا، ومخالفة لهواه، يؤمِن المؤمنين من الفتنة والاختلاف، فعن الإمام العسكريّ عليه السلام: «**مَن كان مِنَ الفُقَهاء صائِناً لِنَفْسِهِ، مخالفاً لِهواهُ، مُطيعاً لِاَمرِ مولاه، فَعَلَى العَوامِ اَن يُقَلِّدوه**»[٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إِيَّاكُمْ أَنْ يُحَاكِمَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً إِلَى أَهْلِ الْجَوْرِ، وَلَكِنِ انْظُرُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ، يَعْلَمُ شَيْئاً مِنْ قَضَايَانَا، فَاجْعَلُوهُ بَيْنَكُمْ، فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ قَاضِياً، فَتَحَاكَمُوا إِلَيْهِ**»[٤].

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٢٣، ص١٤٤.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ٩١.

(٣) العروة الوثقى، السيد اليزدي: ج١، ص٢٦.

(٤) عوالي اللآلي، ابن أبي جمهور الإحسائي: ج٣، ص٥١٨.

وفي المكاتبة عن الإمام المهديّ (عجل الله فرجه الشريف): «**وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ، فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رُوَاةِ حَدِيثِنَا، فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وَ أَنَا حُجَّةُ اللهِ عليهم**»(١).

٥- **البصيرة**: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَلاَ وإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ وَاسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ وَرَجِلَهُ، وإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي**»(٢).

فالإنسان المؤمن مدعوّ لامتلاك الوعي والبصيرة وزيادتهما؛ لكي لا تنطلي عليه حيل ومكر الشياطين.

٧- **التوكّل على الله**: قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون**﴾(٣).

إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كَانَ ضَعيفاً:

ينبغي للإنسان المؤمن أن لا يخاف إلّا الله، ولا يخاف من شياطين الإنس والجن، فإنّما يخوّف أولياءه: ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾(٤).

فكيد الشيطان ضعيف أمام صلابة ووعي وبصيرة الإنسان

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي: ج٢٧، ص١٤٠.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ١٠.

(٣) سورة النحل: آية٩٩.

(٤) سورة آل عمران: آية١٧٥.

المؤمن: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[١].

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «فَلَهُ -أي: لإبليس- فَلتَشتَدَّ عَداوَتُكَ، وَلا يَكونَنَّ أصبَرَ على مُجاهَدَتِهِ لِهَلَكَتِكَ مِنكَ على صَبرِكَ لِمُجاهَدَتِهِ، فَإِنَّهُ أضعَفُ مِنكَ رُكناً في قُوَّتِهِ، وَأقَلُّ مِنكَ ضَرراً في كَثرَةِ شَرِّهِ، إذا أنتَ اعتَصَمتَ بِاللهِ فَقَد هُديتَ إلى صِراطٍ مُستَقيمٍ»[٢].

فالشيطان ليس له سلطان على الإنسان إلا أن يساعده الإنسان على نفسه: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم﴾[٣].

فابرأ من الشيطان الضعيف قبل أن يبرأ منك يوم لا ينفع الندم: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[٤].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَفَلَّهُمْ، وَهُوَ غَداً

---

(١) سورة النساء: آية٧٦.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٥، ص٣١٥.

(٣) سورة إبراهيم: آية٢٢.

(٤) سورة الحشر: آية ١٦.

مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ، وَمُتَخَلٍّ عَنْهُمْ»[١].

فاحذروا أن تكونوا قرناء الشياطين بين طابقين من نار، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ، وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ، وَالرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ، وَقَرِينَ شَيْطَانٍ**»[٢].

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ١٨١.

(٢) المصدر السابق: الخطبة ١٨٢.

مواعظ
من نهج البلاغة

الثامنة
الأهل والعشيرة

الأَهْلُ وَالعَشيرةُ

عَنْ أَميرِ المؤمنينَ عليه السلام: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّه لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ، وإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عِتْرَتِه، ودِفَاعِهِمْ عَنْه بِأَيْدِيهِمْ وأَلْسِنَتِهِمْ، وهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً[1] مِنْ وَرَائِه، وأَلَمُّهُمْ لِشَعَثِه[2]، وأَعْطَفُهُمْ عَلَيْه عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِه، ولِسَانُ الصِّدْقِ[3] يَجْعَلُه اللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ، خَيْرٌ لَه مِنَ الْمَالِ يَرِثُه غَيْرُه، .....، ومَنْ يَقْبِضْ يَدَه عَنْ عَشِيرَتِه، فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْه عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْه أَيْدٍ كَثِيرَةٌ، ومَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُه[4]، يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِه الْمَوَدَّةَ**».

نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ٢٣.

---

(١) الحيطة: بفتح الحاء- الرعاية، وبكسرها الصيانة: والمعنيان متقاربان.

(٢) الشعث: بفتح العين- التفرّق. والنازلة: المصيبة.

(٣) لسان الصدق: حسن الذكر بالحقّ. (٤) الحاشية: الجانب والجناح.

الإِسلامُ دينُ التَّواصلِ:

إنّ من يراجع مصادر الإسلام، من خلال القرآن الحكيم والأحاديث الشريفة، يرَ بكلّ وضوح وجلاء، حقيقةً، وهي: أنّ كثيراً من وصايا الإسلام وواجباته وأحكامه، تدعو إلى إزالة الحجب والحواجز القائمة بين الناس جماعات وأفراداً.

يقول تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[1].

فالقاعدة الأولية في الإسلام هي التعارف، والتعاون، وتبادل الخبرات بين الأمم، فلا ينبغي للمسلمين التقاطع والتحارب مع الشعوب الأخرى، بل السلام والوئام هما الحاكمان على علاقات المسلمين مع غيرهم.

فالإسلام لا يخاف أيّ فكر آخر؛ لأنّه يملك الحجّة والدليل والبرهان على صدقيّته، وإنّما يخاف مَن لا منطق عنده ولا حجّة.

وكما دعا الإسلام إلى الوئام مع غير المسلمين، فبالضرورة دعا إلى ذلك بين المسلمين أنفسهم.

قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِّ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾[2].

---

(١) سورة الحجرات: آية١٣.

(٢) سورة آل عمران: آية١٠٣.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالْحُمّى والسَّهَرِ**»[1].

فإذا ما تكاتف المجتمع داخلياً، وأمِن من داخله، فحينئذ من السهولة أن ينتصر على أعدائه، أمّا إذا كان المجتمع مقاطعاً بعضه بعضاً، فحينئذ على هذا المجتمع السلام، ولن يستطيع أن ينتصر على أعدائه.

والتاريخ الإسلاميّ يؤكِّد لنا هذه الحقيقة، أنّ المسلمين تراجعوا حينما تقاطعوا، وإذا أرادوا الرجوع إلى ميدان قيادة الأمم فما عليهم إلّا أن يتواصلوا ويتكاتفوا.

وهذا التواصل ينبغي أن يبدأ في العشيرة والأسرة والعائلة، أي بين الأرحام، ليكون البيت الداخلي آمناً، ومن ثمَّ ينجرّ الكلام إلى الوحدة والتواصل الاجتماعيّ الإسلاميّ بشكل عام والإنسانيّ بشكل أعمّ.

وهذا الجانب من العلاقة الحسنة مع العشيرة هو ما يدعو إليه أمير المؤمنين.

---

(١) كنز العمال، المتقي الهندي: ج٤، ص٢٨٣٧.

بَيْنَ العَصَبيّةِ وَصِلةِ الرَّحِمِ:

رغم أنّ الإسلام دعا إلى التواصل والمرحمة، لكنّه في الوقت نفسه نهى عن التعصُّب الأعمى للعائلة والأرحام.

جاء في الكافي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**مَنْ تَعَصَّبَ أَوْ تُعُصِّبَ لَهُ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِيمَانِ مِنْ عُنُقِهِ**»(١).

وعنه عليه السلام قال: «**مَنْ تَعَصَّبَ عَصَبَّهُ اللهُ بِعِصَابَةٍ مِنَ النَّارِ**»(٢).

فصلة الرحم والأقرباء والتعاون معهم والتكافل مطلوبة إسلامياً، ولكن إذا كان التعاون معهم على الباطل والظلم، فهذا غير مطلوب، يقول تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾(٣).

وقد أمرنا الله تعالى في كتابه الكريم، أن لا نكون متعصِّبين لمن يمتُّ إلينا بصلة القربى، وأن يكون رائدنا هو الحقّ والعدل، وأن نقول الحقّ ولو على أرحامنا، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى**﴾(٤).

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٣٠٧.

(٢) المصدر السابق: ج٢، ص٣٠٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) سورة المائدة: آية٢.

والعصبية واحدة من السجايا الباطنية النفسانية، ومن آثارها الدفاع عن الأقرباء، وجميع المرتبطين به وحمايتهم، بما في ذلك الارتباط الدينيّ أو المذهبيّ أو المسلكيّ، وكذلك الارتباط بالوطن وترابه...

والعصبية من الأخلاق الفاسدة والسجايا غير الحميدة، وتكون سبباً في إيجاد مفاسد في الأخلاق وفي العمل...

إنّ المرء إذا تعصّب لأقربائه أو أحبّته ودافع عنهم، فما كان بقصد إظهار الحقّ ودحض الباطل، فهو تعصّب محمود ودفاع عن الحقّ والحقيقة...

أما إذا تحرّك بدافع قوميته وعصبيته بحيث أخذ بالدفاع عن قومه وأحبّته في باطلهم وسايرهم فيه ودافع عنهم، فهذا شخص تجلّت فيه السجيّة الخبيثة، سجيّة العصبية الجاهلية، وأصبح عضواً فاسداً في المجتمع... وصار في زمرة أعراب الجاهلية...

أَسْبَابُ القَطِيعَةِ:

هناك أسباب عديدة تؤثّر سلباً على علاقات الناس وتواصلهم، وتنسحب هذه الأسباب على علاقات الأقارب والأرحام منها:

١- **سيطرة روح المادّية على المجتمع والأفراد**، مما يسبِّب تمحور كلّ إنسان حول ذاته، بالشكل الذي يؤدّي إلى عدم الاهتمام بالآخرين، وهذا ما نراه في المجتمعات الغربية التي لا تقيس علاقاتها مع الآخرين إلّا

بالقياس المادّي، ويختصرون علاقاتهم بقياس الجيب وما يحويه من المال، وهذه الروح المادّية رفضها الإسلام العزيز، داعياً إلى عدم الاستغراق في حبِّ الدنيا، وحبِّ المال، المؤدّيين إلى كثير من المساوئ، ومنها قطع الرحم. إنّنا نرى كثيراً من الأغنياء المنكبّين على جمع المال، لا يتواصلون مع أقاربهم، وما ذلك إلّا لأنّهم فقراء، لا يستفيدون منهم شيئاً، بمقياس الجيب والمصالح المادّية، وهذا ما نبّه عليه أمير المؤمنين عليه السلام: **«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّه لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ، وإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عِتْرَتِه، ودِفَاعِهِمْ عَنْه... ومَنْ يَقْبِضْ يَدَه عَنْ عَشِيرَتِه، فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْه عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْه أَيْدٍ كَثِيرَةٌ»**[1].

٢- **التكبُّر**: ان حبّ العظمة إذا تغلّب على الإنسان فإنه يؤدّي به إلى التكبُّر على الآخرين واحتقارهم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلِ كِبْرٍ»**[2].

وإذا كان التكبُّر مذموماً في الإسلام، فإن التكبُّر على ذي الرحم أشدُّ قبحاً؛ فكم نرى غنياً، أو ذا جاه، لا يصل رحمه الفقير، أو الذي لا جاه له، ولا يعرف له قرابته ويتكبَّر عليه، أمّا إذا رأى رحمه الغنيّ الوجيه احترمه، وهذا في الحقيقة ليس صلة للرحم، بل اعتناء بالمال والمصالح الضيّقة، لا بشخص الرحم، فهذا قد احترم المال ولم يحترم

---

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة٢٣.

(٢) تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ص٣٩٦.

قريبه، ألا يعلم هذا المتكبِّر أنّ الله ﴿**لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾[١].

٣ - سوء الظنّ: وهو مسبِّب للكثير من العداوات والأحقاد، وكم من أخوين تقاطعا لأنّهما أساءا الظنّ؟ وكم من عائلات وأسر تفكّكت بسبب هذه الخصلة المدمِّرة؟ ولذلك حذّرنا الله من هذه الرذيلة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾[٢].

والأحاديث في هذا الصدد كثيرة منها ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال: أمير المؤمنين عليه السلام: «**ضَعْ أَمْرَ أَخيكَ عَلى أَحْسَنِهِ، حَتّى يَأتيكَ ما يَغْلِبُكَ، وَلا تَظُنَّنَّ بِكَلَمَة خَرَجَتْ مِن أَخيكَ سُوءً، وَأَنتَ تَجِدُ لَها في الخَيرِ مَحمِلاً**»[٣].

٤ - الحسد: وهو أيضاً ماحق للدِّين، ومقطِّع أوصال الأحبّة والمؤمنين، ولقد حذّرتنا الشريعة الإسلامية من هذه الخصلة: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ**﴾[٤].

﴿**وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾[٥].

---

(١) سورة لقمان: آية١٨.

(٢) سورة الحجرات: آية١٢.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ج ٢، ص ٣٦٢.

(٤) سورة النساء: آية٥٤.

(٥) سورة الفلق: آية٥.

وعن رسولِ الله صلى الله عليه وآله أنّه قال لأَصحابهِ: «**الا انَّهُ قَدْ دَبَّ الَيْكُمْ داءُ الْامَمِ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَهُوَ الْحَسَدُ، لَيْسَ بِحالِقِ الشَّعْرِ، لَكِنَّهُ حالِقُ الدّينِ**»(١).

ألم يكن الحسد سبباً لقتل قابيل لأخيه هابيل؟ فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**الْحَسَدُ أَصْلُهُ مِنْ عُمْيِ الْقَلْبِ، وَجُحُودٌ بِفَضْلِ الله تَعالى، وَهُماجَناحانِ لِلْكُفْرِ، وَبِالْحَسَدِ وَقَعَ ابْنُ ادَمَ فى حَسْرَةِ الْأَبَدِ، وَهَلَكَ مَهْلَكاً لا يَنْجُوا مِنْهُ ابَداً**»(٢).

ألم يحاول إخوة النبيّ يوسف عليه السلام قتله انطلاقاً من صفة الحسد، وقصّته معروفة؟

٥- **الغيبة**: وهي أيضاً مسبّبة لتفكّك العوائل، في حين أنّ الله تعالى ينهانا عنها لمصلحتنا.

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾(٣).

٦ - **النميمة**، والحقد، والغضب، وفحش الكلام، وعدم وجود الاحترام المتبادل، فضلاً عن الغزو الثقافيّ الغربيّ لنا، بحيث نكاد نصير كالغرب في أخلاقه وقيمه وتوجّهاته. هذه الأسباب لم نفصّل فيها،

(١) الوسائل، الحرّ العاملي: ج ١٥، ص ٣٦٨.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٧٠، ص ٢٥٥.

(٣) سورة الحجرات: آية ١٢.

حتّى لا يطول المقام، ويحسن مراجعة الكتب الأخلاقية، التي تتحدَّث عن هذه المواضيع بإسهاب، وتعطي العلاج لهذه الرذائل، فبعلاجها يعالج موضوع قطيعة الرحم، وكثير من العداوات والأحقاد في المجتمع ككلّ.

خَاتِمَةٌ:

لقد تبيّن ممّا مر أنّه لا العصبية الجاهلية مقبولة، ولا القطيعة للرحم مقبولة أيضاً، وإنّما المطلوب من الإنسان المؤمن أن يتقرّب من عشيرته وأهله وأقاربه وأرحامه، بشتّى أنواع التقرّب الذي يرضي به الله سبحانه وتعالى، لأنّه إن انقطع عنهم فقد خسروا هم رجلاً واحداً، بينما هو قد خسر العشيرة كلّها، وأمّا إذا تواصل وتقرّب منهم بالحقّ، فقد كسب رضا الله في الآخرة، وعشيرته، وأقاربه، وأهله في الدنيا، حيث يجد عونهم ومؤازرتهم له في الشدائد والنوائب.

أعاننا اللهُ على التواصل الحسن مع الناس ومع أقاربنا.

مواعظ
من نهج البلاغة

التاسعة
معرفة الزمان وأهله

مَعْرِفَةُ الزَّمَانِ وَأَهْلِه

قالَ أَميرُ المؤمنينَ عليه السلام في وَصيّتِهِ للإمامِ الحَسَنِ عليه السلام: «**أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْر نَخِيلَتَهُ،تَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ، مُقْتَبَلُ الدَّهْرِ...**». نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ٣١.

أَهمّيّةُ الزّمَنِ:

يُقسم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بالزمان، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[١]. ﴿**وَالضُّحَى**﴾[٢]. وفي قوله تعالى: ﴿**وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ**﴾[٣].

وما تلك الأقسام بالزمان إلّا للإشارة إلى أهميَّة الزمان، والزمان مؤلّف من ماض وحاضر ومستقبل، ومن الضروريّ للإنسان أن يعرف الماضي أي التاريخ الذي مضى على الناس أفراداً وجماعات؛ ليعتبر ويتّعظ، فيأخذ بحسنات الماضي ويترك سيئاته وضلاله وهفواته.

مَعْرِفَةُ الحَاضِرِ والمُسْتَقْبَلِ:

ومن المهمّ للإنسان أيضاً أن يعرف حاضره، أي: عصره وزمانه الذي يعيش فيه، فلكلّ عصر أهله، وخصائصه، وضروراته، ومتطلّباته، وأولويّاته، وهي تنطلق من المتغيرات الاجتماعية، والفكرية، والثقافية، والسياسية الطارئة على مفاصل الحياة، فالمؤمن الواعي: هو الذي يفهم أهل عصره وضروراته ومتطلّباته، ويدرك المشاكل والأولويّات.

---

(١) سورة العصر: آية ١ ـ ٢ ـ ٣.

(٢) سورة الضحى: آية١.

(٣) سورة المدثر: آية٣٤.

أمّا أولئك الذين لا يدركون هذه المسائل، أو لا يتفاعلون معها بسبب عدم انتمائهم إلى عصرهم، فهم الهامشيون المنعزلون الذين يحسبون أنّهم يعيشون في صحراء منعزلة، فلا يقدرون على التأثير ولا على المعالجة، بل يقفون دوماً متأسّفين، ومتحسّرين، وشاكين، ومشتبهين، ومستسلمين.

وهذا ما أشار إليه أمير كلّ زمان الإمام عليّ عليه السلام: «**حَسْبُ اَلْمَرْءِ... مِنْ عِرْفَانِهِ، عِلْمُهُ بِزَمَانِهِ**» وعنه عليه السلام: «**أَعْرَفُ النَّاسِ بِالزَّمانِ، مَنْ لَمْ يَتَعَجَّبْ مِنْ أَحْداثِهِ**»(١)، وعنه عليه السلام: «**مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَه، ومَنْ أَعْظَمَه أَهَانَه**»(٢).

وفي وصية أمير المؤمنين للحسن صلوات الله عليهما «**يا بُنيّ إنّه لا بدّ للعاقل من أن ينظر في شأنه، فليحفظ لسانه، وليعرف أهل زمانه**»(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**الْعَالِمُ بِزَمَانِهِ لَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ اللَّوَابِسُ**»(٤). واللوابس تعني الشبهات.

ومعرفة العصر الحاضر تفيد في قراءة المستقبل وفي صناعته، فإنّنا بصناعتنا للحاضر نصنع مستقبل أولادنا وأحفادنا.

فعلينا أن لا نضع الحقّ على الزمان في فشلنا، وتراجعنا، وانهزامنا

---

(١) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي: ص١٢٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٣١.

(٣) بحار الأنوار، العلاّمة المجلسي: ج٦٨، ص٢٨١.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني: ج١، ص٢٧.

فـ ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِم﴾[١].

عن الرَّيّان بن الصلت: أنشدني الرضا عليه السلام لعبد المطّلب:

يعيب الناس كلّهم زمانا وما لزماننا عيب سوانا
نعيب زماننا والعيب فينا ولو نطق الزمان بنا هجانا
وإنّ الذئب يترك لحم ذئب ويأكل بعضنا بعضاً عيانا
لبسنا للخداع مسوك طيب وويل للغريب إذا أتانا[٢]

عِلْمُ الأَنْبيَاءِ والأَئمّةِ عليهم السلام بِـزَمَانِهِم:

كان الأنبياء عليهم السلام جميعهم يدركون متطلّبات عصورهم، فيقودون مجتمعاتهم على أساسه، وإن نسخ الأديان الماضية من قبل الأنبياء من أولي العزم عليهم السلام، أفضل دليل على إثبات دور الزمان في القيادة، حسب رؤية الأديان السماوية كلها.

إنّ معرفة العصر في الحقيقة أحد العناصر الأصلية للوعي السياسيّ والاجتماعيّ، وكلّما ازدادت معرفة القائد بشعبه وأدرك مطالبه وحاجاته المادية والمعنوية بنحو أدقّ وأحاط بنقاط قوّته وضعفه كان أنجح، ولا جرم أنّ الأنبياء عليهم السلام جميعاً كانوا يتّسمون بهذه الصفة.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما كلّم رسول الله صلى الله عليه وآله العباد بكنه**

(١) سورة الرعد: آية١١.

(٢) بحار الأنوار، العلاّمة المجلسي: ج٤٩، ص١١١.

عقله قطّ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم»[1].

وتدلّ دراسة سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله – من منظار معرفته بزمانه وإدراكه لمتطلّبات عصره – على أنّه نموذج بارز للقائد العارف بزمانه، يتلوه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والأئمّة عليهم السلام من بعده.

مِنْ أَسبابِ نجاحِ غَيْرِ المُؤمنينَ:

إنّ هناك أسباباً لتقدّم ونجاح وانتصار بعض الكفّار والفاسقين في الحياة الدنيا، وتأخّر بعض المؤمنين، ومن هذه الأسباب أنّ الطائفة الأولى رغم خلوّهم من عنصر الإيمان يتحلّون – أحياناً – ببعض نقاط القوّة الّتي يحقّقون في ظلّها ما يحقّقون من المكاسب، ويحرزون ما يحرزون من النجاحات، فيما تعاني الطائفة الثانية من نقاط ضعف توجب تأخّرهم وانحطاطهم، فنحن نعرف أشخاصاً – رغم انقطاعهم عن الله – يتّسمون بالجديّة الكبيرة في أعمالهم، ويتحلّون بالاستقامة والعزم، والتنسيق والتعاون فيما بينهم، والمعرفة بقضايا العصر ومتطلّباته، ومقتضياته ومستجدّاته، ومن الطبيعيّ أن يحقّق هؤلاء مكاسب كبيرة ويحرزوا انتصارات ونجاحات في حياتهم المادية، وما هم في هذا الأمر – في الحقيقة – إلّا مطبقين لتعاليم الدين وبرامجه من دون إسنادها إلى الدين، وإعطائها صفته وصبغته.

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج١، ص٢٣.

وفي المقابل، هناك أشخاص متديّنون أوفياء للعقائد الدينية، لكنّهم بسبب غفلتهم عن تعاليم الدين الحيوية يعانون من الجبن والإحجام، ويفتقرون إلى الشهامة والاستقامة ويفقدون عنصر الثبات والاستمرار والاتّحاد والتعاون، وقراءة العصر والواقع، وطبيعيّ أن يصاب هذا الصنف من الناس بإخفاقات متلاحقة وهزائم متتابعة، ولكنّ هذه الهزائم والإخفاقات ليست أبداً بسبب إيمانهم بالله، بل هي بسبب ما بهم من نقاط الضعف، وما بأنفسهم من عوامل الهزيمة، وموجبات السقوط والإخفاق.

إنّهم يتصوّرون (وبالأَحرى يظنّون) بأنّهم سيتنصرون بمجرّد إيمانهم بالله وانتسابهم إلى الدين في جميع المجالات، وينجحون في جميع المواقف، في حين جاء الدين بسلسلة من البرامج والمناهج العملية الحيوية للتقدّم والنجاح في الحياة، يستلزم تجاهلها الفشل والسقوط والهزيمة. إنّ لكلّ شيء سبباً، ولكلّ نجاح مفتاحه الخاص، ووسيلته الخاصة، وقد أتى الدين بكلّ ذلك، وبيّنه في تعاليمه وتوصياته، فلا يمكن أن يتحقّق نجاح بغير هذه التعاليم وبغير هذه الوسائل، ومن هذه التعاليم المهمّة المعرفة بالزمان.

فالنجاح في الحياة والانتصار يقتضيان الوعي ولا يكفي الإيمان الساذج البسيط.

مواعظ
من نهج البلاغة

العاشرة
القـــناعـــة

القَنَاعَةُ

عَنْ أَمِيرِ المؤمنينَ عليه السلام: «الْحَمْدُ لله غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلَا مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ وَلَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ وَلَا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ. وَالدُّنْيَا دَارُ مُنِيَ لَهَا الْفَنَاءُ وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ وَهِيَ حُلْوَةٌ خَضْرَاءُ وَقَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ وَالْتَبَسَتْ بِقَلْبِ النَّاظِرِ فَارْتَحِلُوا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ»

نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ٤٥.

مَعْنَى القَنَاعةِ:

الرضا بالكفاف يعني القناعة «والقناعة: الرضا بالقسم، وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**القناعة كنز لا يفنى**»[١]؛ لأنّ الإنفاق منها لا ينقطع، كلّما تعذر عليه شيء من أمور الدنيا قنع بما دونه ورضي، وفي الحديث: «**عزّ من قنع وذلّ من طمع، لأنّ القانع لا يذلّه الطلب فلا يزال عزيزاً**»، **وفي المثل**: «**خير الغنى القنوع، وشر الفقر الخضوع...**»[٢].

فالقناعة لغة: هي الرضا بالقسم، وهو يلتقي مع معناها في المرتكزات الشرعية حيث تعني القناعة: أن يقنع الإنسان بما قسم الله له من الأمور الدنيوية، بمعنى أنّ الإنسان إذا كانت طاقته لا تتحمَّل أن يتقدّم مادياً، وظروفه لا تساعده، فعليه أن يقنع بما هو عليه من المستوى الماليّ، إلى أن يفتح الله عليه باباً من أبوابه الحلال، وهذا لا يعني أن لا يسعى الإنسان إلى تحسين حاله المادّيّ إن استطاع عن طريق الكسب الحلال.

ولا تعمُّ القناعة الأمور المعنوية، فالإسلام دعا المسلمين إلى التزوّد والتنافس في الأمور المعنوية، كالعلم والإيمان والتقوى والخصال الأخلاقية الحميدة.

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج١٥، ص٢٢٦.

(٢) النهاية، ابن الأثير: ج٤، ص١١٤.

قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[٢].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**إِنْ كُنْتُم لا مَحَالَةَ مُتَنَافِسِينَ، فَتَنَافَسُوا في الخِصالِ الرَّغِيبةِ**»[٣].

المُجْتَمَعُ الغَرْبِيُّ والحِرْصُ:

وإذا أردنا أن نعرف أهميّة صفة القناعة، فما علينا إلّا أن ننظر إلى المجتمعات المادية، كالمجتمعات الغربية (أوروبا وأمريكا)، فإنّ هذه المجتمعات لا قناعة فيها، وقيمها قيم مادية، يتنافس الناس في هذه البلاد على جمع الأموال وتحصيل المناصب، ويتكالبون على الدنيا نهماً وشراسة، لذلك وقع هذا المجتمع في أمراض روحية ونفسية وسلوكية خطيرة.

وإليكم تقرير يشهد لما نقول: ففي إحصاء صدر في الولايات المتحدة الأميركية «أنّ أكثر من ٦٪ من السكّان يعانون نوعاً من سوء التوافق (أي تعب نفسيّ)، وأنّ واحداً من كلّ عشرة من السكّان يحتاج إلى معونة الطبيب النفسيّ إن عاجلاً أو آجلاً، وأنّ واحداً من كلّ ثمانية

---

(١) سورة المطففين: آية٢٦.

(٢) سورة البقرة: آية١٩٧.

(٣) ميزان الحكمة، الري شهري: ج٣، ص١٤٦، ح٥٠٤٢.

عشر شخصاً ينفق بعض الوقت في مشفى عقليّ، وأنّ عدد من يدخلون في المشافي في كلّ عامّ يساوي عدد من يتخرّجون من الجامعات، وأنّ المصابين بأمراض عقلية أي جنون يشغلون من أسرّة المشافي أكثر مما يشغله جميع المرضى بكافّة الأمراض الأخرى، وأنّ نصف من يتردّدون على أطبّاء لعلل جسمية يعانون في الواقع من اضطرابات نفسية»[١].

فمن هذا التقرير نشهد مدى ما يعانيه المجتمع الغربيّ من متاعب نفسية وأمراض نفسية، وما ذلك إلّا لأنّهم يحبّون المال حبّاً جمّاً، ويحرصون على جمعه، والاستزادة منه، تاركين التنافس على المعنويات.

فالمجتمع الغربيّ لا يعيش الحياة الطيّبة التي تسبّبها القناعة، سُئل الإمام عليّ عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿**فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾[٢]، قال: «**هِيَ الْقَنَاعَةُ**»[٣].

فمن الأمور المهمّة في طمأنينة الروح، وسعادة الحياة، وطيب العيش، وراحة البال، القناعة الّتي هي كنز لا ينفد.

---

(١) الصحة النفسية، د. مصطفى فهمي: ص٧.

(٢) سورة النحل: آية٩٧.

(٣) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الحكمة٢٢٩.

آفات الحرص:

ولعدم القناعة على مستوى الفرد (والتي تنسحب على المجتمع) آفات كثيرة منها:

١ - الغمُّ في الدنيا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مَثَلُ الحَرِيصِ عَلَى الدُّنْيَا كَمَثَلِ دُودَةِ الْقَزِّ، كُلَّمَا ازْدَادَتْ عَلَى نَفْسِهَا لَفّاً، كَانَ أَبْعَدَ لَهَا مِنَ الْخُرُوجِ حَتَّى تَمُوتَ غَمّاً**»(١).

٢- الحسد: فإنّ من لا يقنع بما رزُق، فمن المحتمل أن يقع في آفّة الحسد. والوقاية من آفّة الحسد والطمع سكينة وعافية، فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**صِحّةُ الجَسَدِ من قِلّةِ الحَسَدِ**»(٢).

أمّا الطمع فصاحبه طول حياته هائم وحائر، كيف يجمع ويدَّخر.

٣- الوقوع في الشّرّ: فغير القانع ربَّما يسلك مسالك منحرفة لكي يحصل على الأموال، فربّما يسرق أو يغصب أو يقتل، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**خَيْرُ المؤمنينَ القَانِعُ، وَشَرُّهُم الطَّامِعُ**»(٣).

٤ - فساد النفس: يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**أَعْونُ شيءٍ على صَلاحِ**

---

(١) جامع السعادات، الشيخ النراقي: ج٢، ص١٠٣.

(٢) فلسفة الأخلاق في الإسلام، الشيخ محمد جواد مغنية: ص٢٠٨.

(٣) ميزان الحكمة، الري شهري: حديث ١٧١٤٢.

النَّفْسِ القَنَاعةُ»[١]، فالحرص لا يساعد على صلاح النفس.

٥- ذلّة النفس: في الحديث: «**ثَمَرةُ القَنَاعةِ العِزُّ**»[٢] فمن لا يقنع يذلّ نفسه.

إلى كثير من الآفّات التي تشكّل خطورة كبيرة على حياة الإنسان الدنيوية، ومصيره في الآخرة.

عِلَاجُ الحِرْصِ وَالطَمَعِ (عَدَم القَنَاعَة):

١- أن تعرف مضارّ عدم القناعة، وتأخذ العبرة من المجتمعات والأشخاص المبتلين بعدم القناعة.

٢- أن لا تطلب فوق طاقتك، وفوق ظروفك، بمعنى أن ترضى بما قسم الله لك، وبما أعطاك من طاقة، وهيّأ لك من ظروف.

٣- أن يكون اهتمامك في المعنويات، وتنافسك في معالي الأخلاق، لا في اكتساب الأموال.

٤- أن تأخذ بنصيحة الإمام الصادق عليه السلام: «**اُنظُرْ إلى مَن هُوَ دُونَكَ فِي المَقدُرَةِ، ولا تَنظُرْ إلى مَن هُوَ فَوقَكَ فِي المَقدُرَةِ، فَإِنَّ ذلِكَ أقنَعُ لَكَ بِما قُسِمَ لَكَ**»[٣].

---

(١) ميزان الحكمة، الريشهري: ١٧١٦١.

(٢) المصدر السابق: ١٧١٦٠.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ج٨، ص٢٤٤.

ونصيحة أخرى للإمام الصادق عليه السلام، فقد جاءه شخص يشكو إليه عدم القناعة فقال له: «**إِنْ كَانَ مَا يَكْفِيكَ يُغْنِيكَ، فَأَدْنى مَا فِيهَا يُغْنِيكَ، وَإِنْ كَانَ مَا يَكْفِيكَ لَا يُغْنِيكَ، فَكُلُّ مَا فِيهَا لَا يُغْنِيكَ**»[١].

٥- أن تعرف أنّ الله يوم القيامة لا ينظر إلى الأموال، بل ينظر إلى الأعمال الخالصة ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[٢].

عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: «**اقْنَعْ بِما أُوتيتَهُ، يَخِفَّ علَيكَ الحِسابُ**»[٣].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص١٣٩.

(٢) سورة الشعراء: آية ٨٨ ـ ٨٩.

(٣) ميزان الحكمة، الريشهري: حديث ١٧١٦٨.

خَاتِمة:

إذا أردتم راحة الدنيا قبل الآخرة، وسعادة الأولى قبل الآخرة، فما عليكم إلّا بالتمسُّك بصفة القناعة في المادّيات.

وإن كنتم لا تقنعون، فلتكن عدم قناعتكم في المعنويات، فلتتنافسوا فيها، لتعمر نفوسكم وعقولكم بالغنى، فإنّ الغنى الحقيقيّ هو غنى المعنويات، لا غنى المادّيات.

عن نوف البكاليّ قال: «**بِتُّ لَيلَةً عِندَ أميرِ المُؤمِنينَ عَلِيٍّ عليه السلام، فَكانَ يُصَلِّي اللَّيلَ كُلَّهُ، ويَخرُجُ ساعَةً بَعدَ ساعَةٍ؛ فَيَنظُرُ إلَى السَّماءِ، ويَتلُو القُرآنَ، قالَ: فَمُرَّ بي بَعدَ هُدوءٍ مِنَ اللَّيلِ، فَقالَ: يا نَوفُ، أراقِدٌ أنتَ أم رامِقٌ؟ قُلتُ: بَل رامِقٌ، أرمُقُكَ بِبَصَري يا أميرَ المُؤمِنينَ عليه السلام.**

قالَ: طوبى لِلزّاهِدينَ فِي الدُّنيا، وَالرّاغِبينَ فِي الآخِرَةِ، أُولئِكَ الَّذينَ اتَّخَذُوا الأَرضَ بَساطا، وتُرابَها فِراشاً، وماءَها طيباً، وَالقُرآنَ دِثاراً، وَالدُّعاءَ شِعاراً، وقَرَّضوا مِنَ الدُّنيا تَقريضاً عَلى مِنهاجِ عيسَى بنِ مَريَمَ عليه السلام»[1].

وقال عليه السلام: «**طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ وعَمِلَ لِلْحِسَابِ، وقَنِعَ بِالْكَفَافِ، ورَضِيَ عَنِ اللهِ**»[2].

---

(١) بحار الأنوار، العلاّمة المجلسي: ج٦٦، ص٢٧٥.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الحكمة ٤٤.

مواعظ
من نهج البلاغة

الحَادِيَةَ عَشَرَ
الوَفَاءُ تَوْأَمُ الصِّدْقِ

الوَفَاءُ تَوْأَمُ الصِّدْقِ

عَنْ أَمير المؤمنينَ عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ ولَا أَعْلَمُ جُنَّةً[1] أَوْقَى مِنْه، ومَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ، ولَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِه الْغَدْرَ كَيْساً[2]، ونَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيه إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ، مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ، قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ[3] الْقُلَّبُ[4] وَجْه الْحِيلَةِ ودُونَهَا مَانِعٌ، مِنْ أَمْرِ اللهِ ونَهْيِه، فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، ويَنْتَهِز[5] فُرْصَتَهَا مَنْ لاَ حَرِيجَةَ[6] لَه فِي الدِّينِ».

نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ٤١.

(١) جُنَّةً: بضم الجيم: الوقاية.
(٢) الكيس: العقل.
(٣) الْحُوَّل: البصير بتحويل الأمور.
(٤) الْقُلَّبُ: الخبير بتقلّبها.
(٥) يَنْتَهِز: يبادر.
(٦) الحَرِيجَة: التحرّز.

نَقْضُ العَهدِ من الكَبَائِر:

إنّ قضية الوفاء بالعهد والميثاق تعتبر واحداً من أهم مستلزمات الحياة الاجتماعية، إذ بدونها لا يتمّ أيّ نوع من التعاون والتكافل الاجتماعيّ، وإذا فقد نوع البشر هذه الخصلة فقدوا بذلك حياتهم الاجتماعية وآثارها أيضاً.

ولهذا تؤكّد مصادر التشريع الإسلاميّ ـ بشكل لا مثيل له ـ على قضيّة الوفاء بالعهود التي قد تكون من القضايا النوادر التي تمتاز بهذا النوع من السعة والشمولية، لأنّ الوفاء لو انعدم بين أبناء المجتمع الواحد لظهرت الفوضى وعمّ الاضطراب فيه وزالت الثقة العامّة، وزوال الثقة يعتبر من أكبر وأخطر الكوارث.

ونقض العهد من الكبائر، وقد استَشْهَدَ الإمام الصادق عليه السلام لاعتبار هذا الذنب من الكبائر بقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾[1].

وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم، اعتبر الوفاء بالعهد واجباً، يقول تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى**

(١) سورة الرعد: آية ٢٥.

يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾[١]، وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾**[٢]، وقال تعالى: **﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ﴾**[٣].

والروايات في قبح نقض العهد كثيرة، منها:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ**»[٤].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**الخُلف يوجب المقت عند الله وعند الناس، قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ الله أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾** [٥]»[٦].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**أربعة أسرع شيء عقوبة: رجل أحسنت إليه ويكافئك بالإحسان إليه إساءة، ورجل لا تبغي عليه وهو يبغي عليك، ورجل عاهدته على أمر فمن أمرِك الوفاء به ومن أمرِه الغدر بك، ورجل يصل قرابته ويقطعونه**»[٧].

إنّ قبح نقض العهد من الشناعة بحيث لا أحد على استعداد لأن

---

(١) سورة الإسراء: آية٣٤.

(٢) سورة المائدة: آية١.

(٣) سورة البقرة: آية١٧٧.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٢، ص ٩٦.

(٥) سورة الصف: آية٣.

(٦) التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ج٥، ص١٦٨.

(٧) الخصال، الشيخ الصدوق: ص٢٣٠.

يتحمّل مسؤوليته بصراحة إلاّ النادر من الناس حتّى أنّ ناقض العهد يلتمس لذلك اعذاراً وتبريرات مهما كانت واهية لتبرير فعلته.

أَنواعُ العَهْدِ:

العهد على نحوين :

١ - العَهْدُ مَعَ الله تَعَالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ* أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[1].

إنَّ الله تعالى خلق أرواح البشر في عالمٍ قبل الحياة الدنيا بنحو لديهم إدراك وشعور ولياقة للمخاطبة والمكالمة، وأخذ منهم إقراراً بربوبيّته، وعهداً بأن يثبتوا على ذلك ولا يشركوا به ولا ينحرفوا عن رسالات الأنبياء، ولا يتّبعوا الشيطان، وعاهدهم الله تعالى في مقابل ذلك على أن يعينهم ويرحمهم ويسكنهم جنّته، وإذا لم يفوا بما عاهدوا الله عليه في ذلك العالم لم يعطهم ما عاهدهم عليه، ونقض العهد الإلهيّ من الذنوب الكبيرة.

ومن أنواع العهد مع الله تعالى أن يقول مثلاً: عاهدت الله، أو عليّ عهد الله أن أفعل كذا أو أترك كذا، إذا رُزقت العافية أو رجعت

---

(١) سورة الأعراف: آية١٧٢ - ١٧٣.

من السفر سالماً أن أدفع مبلغاً ما للفقير.

فالعهد مع الله إذا تحقّقت شروطه الموجودة في كتب الفقه يجب الالتزام به، وقد ذمّ الله تعالى من ينقض العهد مع الله بقوله: ﴿**وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ*فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ**﴾[1].

وقد وصف الله تعالى من ينقض العهد معه بقوله: ﴿**وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا**﴾[2].

الآية تشير إلى (رايطة) تلك المرأة التي عاشت في قريش زمن الجاهلية، وكانت هي وعاملاتها يعملن من الصباح حتّى منتصف النهار في غزل ما عندهنّ من الصوف والشعر، وبعد أن ينتهين من عملهنّ تأمرهنّ بنقض ما غزلن، ولهذا عُرفت بين قومها بـ (الحمقاء)[3].

فما كانت تقوم به (رايطة) لا يمثّل عملاً بلا ثمر ـ فحسب ـ بل هو الحماقة بعينها، وكذا الحال بالنسبة لمن يبرم عهداً مع الله وباسمه، ثمّ يعمل على نقضه، فهو ليس بعابث فقط، وإنّما هو دليل على انحطاطه وسقوط شخصيته.

---

(١) سورة التوبة: آية٧٥ ـ ٧٦ ـ ٧٧.

(٢) سورة النحل: آية٩٢.

(٣) انظر: التفسير الأمثل، الشيخ مكارم الشيرازي: ج٨، ص٣٠٥.

٢- معاهدة الناس: فيجب الوفاء بالعهود معهم ويحرم نقضها كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً**﴾[١].

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ**﴾[٢]، ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**﴾[٣].

وعن الرسول صلى الله عليه وآله: «**مَن كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَفِ إذا وَعَدَ**»[٤].

فهو يشمل العهود والمواثيق الخاصّة بين الأفراد في القضايا الاقتصادية والمعاشية، وفي العمل والزواج، وهو يشمل أيضاً المواثيق والمعاهدات بين الحكومات والشعوب.

---

(١) سورة الإسراء: آية٣٤.

(٢) سورة المائدة: آية١.

(٣) سورة المؤمنون: آية٨.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٤، ص١٤٩.

خُلْفُ الوَعْدِ مِن صِفَاتِ اليَهودِ والمنافقينَ:

وقد ذمّ الله تعالى اليهود لاتّصافهم بصفة نقض العهود مع الله ومع الناس، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ الله الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ *الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ**﴾[1].

نزلت هذه الآية في يهود بني قريظة الذين عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا يعينوا أعداء الإسلام، ثمّ نقضوا عهدهم في معركة بدر حيث زوّدوا المشركين بالسلاح، ثمّ قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: نسينا عهدنا، وعاهدوه مرّة ثانية ثم نقضوا عهدهم في معركة الخندق، حيث اتّحدوا مع أبي سفيان في حربه ضدّ رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في صفات المنافق: «**ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيهِ كانَ مُنافِقاً، وإن صامَ و صلّى، و زَعَمَ أنّهُ مُسلِمٌ: مَن إذا ائتُمِنَ خانَ، وإذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أخلَفَ**»[2].

---

(١) الأنفال: ٥٥ – ٥٦.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج ٢، ص ٢٩١.

احْتِرَامُ المُعَاهَدَةِ:

إنّ الوفاء بالعهد لا يختصّ بالمسلمين فيما بينهم فقط، بل ينبغي لهم أن يفوا بما عاهدوا عليه غير المسلمين.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ثَلَاثَةٌ لَا عُذْرَ فِيهَا لِأَحَدٍ، أَدَاءُ الْأَمَانَةِ إِلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَ بِرُّالْوَالِدَيْنِ، بَرَّيْنِ كَانَا أَوْ فَاجِرَيْنِ، وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ**»(١).

وبعد اقتدار المسلمين وقوّة شوكتهم، أمر الله تعالى في سورة براءة بجهاد المشركين، وتطهير مكّة المعظّمة من الشرك، وعبادة الأصنام، لكنّه استثنى أولئك المشركين الذين كان بينهم وبين المسلمين معاهدة.

قال سبحانه: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾(٢).

والشواهد كثيرة من تاريخ رسول الله صلى الله عليه وآله على مزيد اهتمامه صلى الله عليه وآله بالوفاء بالعهد.

من جملة تلك الشواهد ما حدث في صلح الحديبية بينه صلى الله عليه وآله وبين مشركي مكّة، والّذي يقضي أنَّ من حقِّ قريش أن تقبل من يلجأ إليها

(١) الخصال، الشيخ الصدوق: ص ١٢٨.

(٢) سورة التوبة: آية ٤.

من المسلمين، ولا يحقّ للمسلمين أن يقبلوا من يلجأ إليهم من قريش.

يروي أبو رافع: أرسلتني قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فلّما رأيته أشرق في قلبي نور الإسلام، فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، لا أعود إلى قريش.

فقال صلى الله عليه وآله: «إنّي لا أخالف عهداً عاهدته، ارجع إليهم».

ولكنّ المؤسف أنّه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله جاء من يتسمّى باسم المسلمين، ولكنّه لا يحفظ عهداً، أمثال معاوية وعمرو بن العاص، حيث كانا ينتهزان الفرصة من أوّل الحرب في صفّين في إجراء الحيلة برفع المصاحف؛ فلمّا ظهرت لهما آثار الفتح والغلبة من الإمام عليّ عليه السلام وأصحابه، تمسّكا بالقرآن حيلة منهما، ثمّ بعد هذه القضيّة وقبلها لم يعملا به أصلاً كما هو شأن الخائن.

وأنت إذا تأمّلت المقام، وتصفّحت الكتب، تعلم أنّ الغدر في الأمور من صدر الخلقة ووجود البشر في هذه الدّنيا كان بمعزل عن الأنبياء والأوصياء والصّلحاء، بل كان أنيساً رفيقاً للفجّار والفسّاق. وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام: «**وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدّين**».

وقضيّة صلح معاوية مع الإمام الحسن عليه السلام، ونقض معاوية لبنود الصلح معروفة تاريخياً.

فَلْسَفَةُ احْتِرَامِ العَهْدِ:

كما هو معلوم فإنّ الثقة المتبادلة بين أفراد المجتمع تمثّل أهمّ دعائم رسوخ المجتمع، بل من دعائم تشكيل المجتمع وإخراجه من حالة الآحاد المتفرّقة، وإعطائه صفة التجمّع، بالإضافة لكون أصل الثقة المتبادلة يعتبر السند القويم للقيام بالفعاليات الاجتماعية، والتعاون على مستوى واسع.

والعهد والقسم من مؤكّدات حفظ هذا الارتباط، وهذه الثقة، وإذا تصوّرنا مجتمعاً كان نقض العهد فيه هو السائد، فمعنى ذلك انعدام الثقة بشكل عامّ في ذلك المجتمع، وعندها سوف يتحوّل المجتمع إلى آحاد متناثرة، تفتقد الارتباط، والقدرة، والفاعلية الاجتماعية.

ولهذا نجد أنّ الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة تؤكّد باهتمام بالغ على مسألة الوفاء بالعهد والأَيمان، وتعتبر نقضها من كبائر الذنوب.

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهمية هذا الموضوع في الإسلام والجاهلية، واعتبره من أهمّ المواضيع في قوله عند عهده لمالك الأشتر «**فَإِنَّهُ لَيسَ مِن فَرائِضِ اللهِ شَيءٌ النّاسُ أَشَدُّ عَلَيهِ اجتِماعاً، مَعَ تَفَرُّقِ أهوائِهِم، وتَشَتُّتِ آرائِهِم، مِن تَعظيمِ الوَفاءِ بِالعُهودِ، وقَد لَزِمَ ذلِكَ المُشرِكونَ فيما بَينَهُم دونَ المُسلِمينَ لِمَا استَوبَلوا (الوبال : الوخامة،**

وسوء العاقبة) مِن عَواقِبِ الغَدرِ»[١].

وجملة «لما استوبلوا من عواقب الغدر» معناها: لما نالهم من وبال من عواقب الغدر.

ونجد في أحكام الحرب الإِسلامية أنّ إِعطاء الأمان من قبل فرد واحد من جيش المسلمين لشخص، أو كتيبة من كتائب العدوّ يوجب مراعاة ذلك على كلّ المسلمين!

نُقل عن الإِمام عليّ عليه السلام أنّ العهد حتّى لو كان بالإِشارة يجب الوفاء به، وذلك في قوله عليه السلام: « **إِذَا أَوْمَى أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ أَشَارَ بِالْأَمَانِ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَنَزَلَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ فِي أَمَانٍ**»[٢].

من الآثار السلبية لنقض العهود والأيمان، شياع سوء ظنّ الناس، وتنفّرهم من الدين الحقّ، وتشتّت الصفوف، وفقدان الثقة، حتّى لا يرغب الناس في الإِسلام، وإِنْ عقدوا معهم عهداً، فسوف لا يجدون أنفسهم ملزمين بالوفاء به، وهذا ما يؤدّي لمساوئ ومفاسد كثيرة، وبروز حالة التخلّف في الحياة الدنيا.

يقول المؤرّخون والمفسّرون: من جملة الأُمور التي جعلت الكثير من الناس في صدر الإِسلام يعتنقون هذا الدين الإِلهيّ العظيم، هو

---

(١) نهج البلاغة، الرسالة ٥٣.

(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ٢، ص ٢٥٠.

التزام المسلمين الراسخ بالعهود والمواثيق، ورعايتهم لأيمانهم.

ونظراً لما لهذا الأمر من أهميّة قال سلمان الفارسيّ: «تهلك هذه الأُمّة بنقض مواثيقها»[١].

أيْ أنّ الوفاء بالعهد والميثاق كما أنّه يوجب القدرة والنعمة والتقدّم، فنقضهما يؤدّي إلى الضعف والعجز والهلاك.

والكلام الذي يجري على الوفاء يجري على الصدق فإنّهما توأمان كما قال الإمام عليه السلام.

فالصدق من علامات صدق الإيمان ورأسه، عن الإمام عليّ عليه السلام: «الصدق أقوى دعائم الإيمان»[٢].

وعنه عليه السلام: «**الصدق رأس الدين**»[٣].

وعنه عليه السلام: «**الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرُّك، على الكذب حيث ينفعك**»[٤].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**لا تغترّوا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإنّ الرجل ربّما لهج بالصلاة والصوم حتّى لو تركه استوحش، ولكن**

---

(١) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٦، ص١٩٥، في تفسير الآية (٩٤).

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، الآمدي: حكمة ٤٣١٠.

(٣) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي: ص٢٥.

(٤) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي: ج١٢، ص٢٥٥.

اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة»[١].

هذا وطريق الصدق هو طريق الأنبياء والأولياء الربّانيين، حيث كانوا يتجنّبون كلَّ كذب وغشٍّ وخداع وحيلة في أفكارهم وأقوالهم وأعمالهم، وهذا بخلاف شياطين الإنس من الزعماء والرؤساء والملوك الذين ديدنهم الكذب والخداع والغشّ، وهذا من أسباب فشل المسلمين، ذلك أنَّهم اتّبعوا شياطين الإنس الكاذبين وتركوا الأشخاص الصادقين، في حين أنَّ الله تعالى أمرنا أن نكون مع الصادقين ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[٢]. انتهى[٣].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص١٠٤.

(٢) سورة التوبة: آية ١١٩.

(٣) جمعية المعارف الإسلامية الثقافية (بتصرف)، منقول من موقع (في رحاب نهج البلاغة) وهو من المواقع التابعة لمركز آل البيت عليهم السلام العالمي للمعلومات، التابع لمكتب المرجع الديني الأعلى سماحة آية الله العظمى الحاج السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله).

الفهرس

مواعظ من نهج البلاغة الأُولَى: مَعْرِفَةُ القُرْآنِ الكَرِيمِ ٥

فَضْلُ القُرْآنِ وَعَظَمَتُهُ: ٨

اعْتِرَافُ المُفَكّرِينَ بِعَظَمَةِ القُرْآنِ: ١٠

العَمَلُ بِالقُرْآنِ: ١٢

الإِمامُ عَليٌّ عليه السلام يُحَذّرُنَا: ١٣

الثَّانِيَةُ: مَحَبَّةُ أَهْلِ البَيْتِ والإِقْتِدَاءُ بِهِم عليهم السلام ١٥

تَمْهِيدٌ: ١٨

لِمَاذَا أَمَرَنَا اللهُ سُبْحانَهُ وَتَعَالَى بِمَحَبّتِهِم عليهم السلام؟ ٢٠

كَيْفَ تَكُونُ المَحبّةُ؟ ٢٢

الإِقْتِداءُ بِالإِمامِ عَليٍّ عليه السلام في جَمِيعِ الأَبْعادِ: ٢٣

أَهَوَى أَخيكَ مَعَنَا؟ ٢٤

الثَّالثةُ: اتّباعُ الهَوَى وَطُولُ الأَمَلِ ٢٧

الأَمرُ الأَوّلُ: اتّباعُ الهَوَى: ٣٠

سَدُّ طُرُقِ الحَرَامِ: ٣٢

الأَمرُ الثَّاني: طُولُ الأَملِ: ٣٤
الرابعة: ذكر الموت **٤١**
كَيْفَ نَذْكُرُ مَا نَخَافُ مِنهُ؟ ٤٤
أَسبابُ الخَوْفِ من المَوْتِ: ٤٤
التَّهَيّؤُ لِسَاعةِ المَوْتِ: ٤٧
التَّفَكُّرُ بِالمَوْتِ: ٤٩
اكْتِشَافُ مَا بَعْدَ المَوْتِ يُحْيِي أُمَماً وأَفْرَاداً: ٥١
الخامسة: حكمة الإختبار **٥٣**
الإمتحانُ الإلهيُّ سُنّةٌ خَالِدةٌ: ٥٦
لِمَاذا الإِخْتبَارُ الإلهيُّ؟ ٥٧
الإِخْتِبَارُ الإلهيُّ عَامٌّ: ٥٩
طرق الاختبار: ٦٠
السادسة: اجتناب الشبهات **٦٥**
ازْدِوَاجُ الشَّخْصيةِ: ٧٢
مِثَالٌ لاجْتِنَابِ الشُّبُهَاتِ: ٧٣
قَصَصٌ لاجْتِنَابِ الشُّبُهَاتِ: ٧٤
السابعة: كيد الشيطان **٧٧**
أَخْلَاقُ الشَّيْطَانِ: ٨٠
خُطُوَاتُ الشَّيْطَانِ: ٨٢
مَا يُسَاعِدُ الشَّيْطَانَ على الإِنْسَانِ: ٨٤

مَا يُسَاعِدُ الإِنسانَ على الشَّيْطَانِ: ٨٨
قِصّةٌ لَطِيفةٌ: ٩٠
إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كَانَ ضَعيفاً: ٩٢
الثامنة: الأهل والعشيرة ٩٥
الإِسلامُ دينُ التَّواصلِ: ٩٨
بَيْنَ العَصَبيّةِ وَصِلةِ الرَّحِمِ: ١٠٠
أَسْبَابُ القَطِيعَةِ: ١٠١
خَاتِمَةٌ: ١٠٥
التاسعة: معرفة الزمان وأهله ١٠٧
مَعْرِفَةُ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ١٠٩
أَهمّيّةُ الزَّمَنِ: ١١٠
مَعْرِفَةُ الحَاضِرِ والمُسْتَقْبَلِ: ١١٠
عِلْمُ الأَنْبيَاءِ والأَئمّةِ عليهم السلام بِزَمَانِهِم: ١١٢
مِنْ أَسبابِ نجاحِ غَيْرِ المُؤمنينَ: ١١٣
العاشرة: القـــناعـــة ١١٥
مَعْنَى القَنَاعةِ: ١١٨
المُجْتَمَعُ الغَرْبِيُّ والحِرْصُ: ١١٩
آفات الحرص: ١٢١
عِلَاجُ الحِرْصِ وَالطَمَعِ (عَدَم القَنَاعَة): ١٢٢
خَاتِمة: ١٢٤

الحَادِيَةَ عَشَرَ: الوَفَاءُ تَوْأَمُ الصِّدْقِ ١٢٥
نَقْضُ العَهدِ من الكَبَائِر: ١٢٨
أَنواعُ العَهْدِ: ١٣٠
خُلْفُ الوَعْدِ مِن صِفَاتِ اليَهودِ والمنافقينَ: ١٣٣
احْتِرَامُ المُعَاهَدَةِ: ١٣٤
فَلْسَفةُ احْتِرَامِ العَهْدِ: ١٣٦

قسم الشؤون الدينية
www.imamali.net
tableegh@imamali.net
07700554186